

العنوان:	النبوات عند ابن حزم من خلال كتابه الفصل في الملل و الأهواء و النحل
المؤلف الرئيسي:	أبونائب، على محمد عبدالله
مؤلفين آخرين:	الفاهم، نصر بن محمد الكيلاني(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2008
موقع:	أم درمان
الصفحات:	1 - 473
رقم MD:	621043
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
اللغة:	Arabic
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	جامعة أم درمان الاسلامية
الكلية:	كلية أصول الدين
الدولة:	السودان
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	النبوة ، ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد، 384-456 هـ، كتاب : الفصل في الملل و الأهواء و النحل، العقيدة الإسلامية ، الملل و النحل
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/621043

للإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

أبونائب، على محمد عبدالله، و الفاهم، نصر بن محمد الكيلاني. (2008). النبوات عند بن حزم من خلال كتابه الفصل في الملل و الأهواء و النحل (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة أم درمان الاسلامية، أم درمان. مسترجع من <http://621043/Record/com.mandumah.search/>

إسلوب MLA

أبونائب، على محمد عبدالله، و نصر بن محمد الكيلاني الفاهم. "النبوات عند بن حزم من خلال كتابه الفصل في الملل و الأهواء و النحل" رسالة ماجستير. جامعة أم درمان الاسلامية، أم درمان، 2008. مسترجع من <http://621043/Record/com.mandumah.search/>

الفصل الثاني: كلام ابن حزم في إثبات النبوات ورده على المنكرين لها.
ويتضمن خمسة مباحث:

المبحث الأول: كلام ابن حزم في إيراد حجج المثبتين والمنكرين للنبوات.

المبحث الثاني: ذكر ابن حزم لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثالث: كلام ابن حزم في إثبات نبوة النساء.

المبحث الرابع : كلام الإمام ابن حزم في الخضر عليه السلام من حيث النبوة والولاية، والحياة والموت.

المبحث الخامس: كلام ابن حزم في من قال: إن في البهائم أنبياء، ورده على ذلك.

المبحث الأول : كلام ابن حزم في إيراد حجج المثبتين والمنكرين للنبوات.
موضوع النبوات من المواضيع التي اختلف الناس فيها قديماً وحديثاً، بين مثبت ومنكر ، وحتى الذين أثبتوها اختلفت حججهم في الإثبات. ولقد بدأت بالإثبات فذكرت حجج ابن حزم فيه ثم تثبت بذكر حجج المنكرين التي ذكرها ابن حزم مع الرد عليها لتكون الحصيلة مطلبين..
المطلب الأول:حجج ابن حزم في إثبات النبوات.

لقد تكلم الناس في إثبات النبوات، واختلفت طرق الإثبات عندهم، كل بحسب معتقده وعلومه، أما إمامنا ابن حزم فقد كانت حججه دائرة بين إمكان مجيء الله بالأنبياء وضرورة وجود النبي في بداية العالم، والخبر المتواتر بوجود المعجزات. ولنبدأ بذكر هذه الحجج...

الحجة الأولى: إمكان مجيء الله بالأنبياء؛ لأنه لا نهاية لما يقوى عليه تعالى.

ذكر ابن حزم أن جميع الأشياء محدثة ، وأن لها محدثاً لم يزل واحداً وهو الله الذي ليس قبله شيء ، ولا مبدأ له ، ولا كان معه غيره ، ولا مدبر سواه ، ولا خالق غيره . و أنه تعالى أخرج العالم كله إلى الوجود بعد أن لم يكن بلا كلفة ، ولا معاناة ، على غير مثال سابق ، وأن كل شئ داخل له في باب الإمكان ، وأكد تفاوت المخلوقات في الممكنات ، وأن الشئ الواحد منها قد يكون ممكناً لبعض الخلق دون بعضهم ، بحسب التفاوت في القدرات والمعارف ، بل والهبات والبنيات والطبائع ، التي أودعها الله عز وجل في هذه المخلوقات (١).

وضرب أمثلة لتفاوت المخلوقات في الممكنات بإمكان نبات اللحية للرجال ، ما بين الثمان عشرة إلى عشرين سنة ، وامتناع ذلك لمن كان في حدود الاثني عشرة سنة إلى العامين ، وبإمكان فك الإشكالات العويصة ، واستخراج المعاني الغامضة ، وقول الشعر وصناعة البلاغة الرائقة من ذي الذهن اللطيف والذكاء النافذ ، وبامتناعه على ذي البلادة الشديدة والغباوة المفرطة (٢).

قال ابن حزم: " فعلى هذا ما كان ممتنعاً بيننا . إذ ليس في بنيتنا ولا في طبيعتنا ، ولا من عادتنا . فهو غير ممتنع على الذي لا بنية له ، ولا طبيعة له ، ولا عادة عنده (٣) ، ولا رتبة لازمة لفعله ، فإذا قد صح هذا ، فقد صح أنه لا نهاية لما يقوى عليه تعالى ، فصح أن النبوة في الإمكان (٤) .

١ ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٣٩ - ١٤٢ .

٢ أبو محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري : الفصل في الملل والأهواء ج ١ ، ص ١٣٩ ، ١٤٠ .

٣ و ابن حزم نفى أن يكون لله عادة ، مع أن الله تعالى يقول : {سنة الله التي قد خلت في عباده} سورة فاطر الآية ٨٥ ، وغيرها من الآيات الدالة على سنة الله .

٤ أبو محمد علي ابن أحمد المعروف بابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٤٠ .

وابن حزم حريص كل الحرص في كلامه السابق على عدم إثبات صفة القدرة لله عز وجل . وذلك لأنه من نفاة الصفات (١) . وإن كان لازم كلامه أن لله قدرة مطلقة بها خلق الخلق، وبعث الأنبياء .

فالإمام ابن حزم لديه إشكال كبير في مسألة الصفات، فهو في الوقت الذي يثبت فيه الأسماء الحسنى لله عز وجل يتمتع من اشتقاق صفات لتلك الأسماء التي أثبتها، فمثلاً هو يثبت لله سبحانه اسم السميع ولكن يقول : لا يقال لله سمع ، وحجته في نفي الصفات هو ادعائه بأن إثباتها يستلزم مشابهة الخالق للمخلوقات في الصفات؛ لاشتراكه سبحانه مع المخلوقات في مسمى الصفة بحسب فهمه، وليس الأمر كما يزعم؛ لأن اشتراك الخالق مع المخلوق في صفة الوجود مثلاً لا يعني تشابههما في هذه الصفة، وهكذا سائر الصفات التي أثبتها الله لنفسه في كتابه أو أثبتها له نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في سنته يجب إثباتها على الوجه الذي يليق به سبحانه مع الإيمان بأنه (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) (٢).

والإمام ابن حزم مع إثباته لأسماء الله تعالى فإن أسماء الله سبحانه وتعالى عنده ليست هي شيء غير ذاته، وهذا المذهب الذي سلكه في الأسماء سببه الرغبة في التوفيق بين أهل الحديث والفلسفة، فهو قد وافق أهل الحديث في اللفظ فأثبت أسماء الله تعالى، لكن لما كان متأثراً بالفلاسفة نتيجة دراسته للفلسفة أثبتها على الوجه الذي ذكرنا، فراراً من الوقوع في تعدد الذات الإلهية بزعمه. وكذلك لما نفى الصفات كان متأثراً بالفلاسفة وأهل

١ أبو محمد علي ابن أحمد المعروف بابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٢ ، ص ٢٨٣ - ٢٨٥ .

٢ سورة الشورى الآية ١١ .

الكلام، وبصفة عامة فهو في باب الأسماء والصفات قد اتبع ظاهراً لا باطن له كما وصفه بذلك ابن تيميه رحمه الله تعالى^(١) .

والذي يهمنا من الذي ذكرناه أن ابن حزم لو كان موافقاً لأهل الحديث في إثباتهم لصفات الله تعالى على الوجه اللائق به سبحانه، لكان استدلاله بقدرة الله على النبوات يكون أقوى من مجرد البرهنة على إمكان مجيء الله بالأنبياء، فإن من أثبت لله قدرة مطلقة تليق به يعلم أن الله قادر بتلك القدرة على وضع آيات وعلامات تدل على أنبياءه، فهذه الطريقة أوضح والاستدلال بها في إثبات النبوات أقوى^(٢)، وإن كانت طريقة ابن حزم صحيحة والله أعلم .

الحجة الثانية: حدوث العالم يقتضي بالضرورة وجود النبوة في أوله.

^١ أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني: كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (أو مجموع فتاوى ابن تيمية)،

تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، مكتبة ابن تيمية، ط ٢، ج ٤، ص ١٩.

^٢ تأمل على سبيل المثال كيف استدلل ابن تيمية رحمه الله بدليل القدرة على إثبات النبوة قال: "وأما قدرته على تعريف الخلق بأنه نبيه فكما تقدم فإنه إذا كان قادراً على أن يهدي الإنسان الذي كان علقه ومضغة إلى أنواع العلوم بأنواع من الطرق إنعاماً عليه . وفي ذلك من بيان قدرته وحكمته ورحمته ما فيه . فكيف لا يقدر أن يعرفه صدق من أرسله إليه" . انظر أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني: كتاب النبوات، تحقيق د. غبد العزيز بن صالح الطويان، دار أضواء السلف، الرياض، ط ١، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م، ج ٢، ص ٦٨٢ - ٦٨٣ . فمن تأمل هذا وجد أن الاستدلال هنا أقوى، وفيه ما فيه من الحسن حيث الربط بين دليلي القدرة والحكمة في الإثبات، فإن إرسال رسول مع وضع العلامات الدالة على إرساله يدل على قدرة المرسل وحكمته في آن واحد، وكذلك لا يعقل إرسال رسول بدون علامته لأن هذا يعد نقصاً وهو مناف للحكمة.

بعد أن أثبت ابن حزم أن النبوة قبل مجيء الأنبياء عليهم السلام واقعة في حد الإمكان ، قال بوجوبها حين وقعت ؛وعلى ذلك بأن ابتداء العالم من العدم، يتطلب وجود معلم أو أكثر، يعلم الناس اللغة، والصناعات، وسائر العلوم كالطب، والفلك، والزراعة، وسائر ما يحتاجه الناس في طعامهم، وشرابهم، ولباسهم، وغير ذلك، مما لا تستقيم الحياة إلا به . ووضح أنه يعني بهذا ابتداء مؤونة تعلم هذه الأشياء، كابتداء مؤونة اللغة والكلام بها، وابتداء معرفة الهيئة وتعلمها ، وابتداء أشخاص الأمراض وأنواعها وقوى العقاقير ، والمعاناة بها، وابتداء معرفة الصناعات. وأن هذا المعلم الذي يُعَلِّم هذه الأشياء لا يتسنى له معرفتها إلا بوحي من عند الله. فأثبت بذلك وجود النبوة والأنبياء في بداية نشأة العالم ضرورة^(١).

وقد حرص الإمام ابن حزم على التفصيل، وطرح الأسئلة، لتبيين مراده، والبرهنة على ما يقول.

فعلى سبيل المثال: عندما تكلم عن حاجة الناس إلى من يعلمهم قوى العقاقير قال:"وكيف يجرب كل عقار في كل علة ؟ ومتى يتيهأ هذا ؟ ولا سبيل له إلا في عشرة آلاف من السنين ؟ ومشاهدة كل مريض في العالم، وهذا يقطع دونه قواطع الموت والشغل بما لا بد منه من أمر المعاش وذهاب الدول ، وسائر العوائق"^(٢).

وغاية ابن حزم في ذلك إقناع القارئ بما يعتقد، يوضح ذلك قوله:" ومن البرهان على ما ذكرنا: أننا نجد كل من لم يشاهد هذه الأمور لا سبيل له إلى اختراعها ألبتة ، كالذي يولد وهو أصم فإنه لا يمكن له ألبتة الاهتداء

^١ انظر أبو محمد علي ابن أحمد المعروف بابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٤٠ ، ١٤١ .

^٢ أبو محمد علي ابن أحمد المعروف بابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٤٠ .

إلى الكلام ، ولا إلى مخارج الحروف" (١). ثم ذكر براهين أخرى ثم قال: "فصح بذلك أنه لا بد من وحي الله تعالى في كل ذلك" (٢).

ولا ريب أن قوله هذا حق، فقد علم الله سبحانه وتعالى نبيه آدم عليه السلام عند بداية خلقنا الأسماء كلها، والعلوم والمعارف، حتى استطاعت ذريته الكلام بلغة علمها آدم عليه السلام إياها، كما علم ذريته أمور معاشها . وإلى ذلك الإشارة بآية سورة البقرة [وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ] (٣) .

لكن أقول: أجود من هذا أن يثبت الإمام ابن حزم النبوة عن طريق الحكمة، فإن هذا يتضمن سد حوائج الخلق ليست الدنيوية التي أشار إليها الإمام ابن حزم فحسب ، بل كذلك الآخروية التي لم يشر إليها، وهي حاجتهم إلى معرفة الغيب، وذلك بالطبع يتم عن طريق الوحي الذي يأتي به الرسل، فإن العباد بعقولهم لا يدركون بأنفسهم مصالحهم الحاضرة بل والغائبة، فاستفيد بالرسل في ذلك، فحصل بما جاءت به الرسل فعل الخير والكف عن الشر، والائتلاف والوحدة بين الخلق مع تعاطي الحق، وإخلاص العبادة لله عزوجل (٤).

١ أبو محمد علي ابن أحمد المعروف بابن حزم . الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٤١ .

٢ أبو محمد علي ابن أحمد المعروف بابن حزم . الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٤١ .

٣ سورة البقرة الآية ٣١ ، ٣٢ .

٤ أبو الحسن علي بن محمد الماوردي : أعلام النبوة، دار إحياء العلوم، بيروت، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م، ص ٣٧ .

الحجة الثالثة : تواتر الخبر بالمعجزات

لما وضع ابن حزم، أنه لا بد من نبوة بالضرورة، تكلم على براهينها التي يصح بها علم صدق مدعيها حين وقعت، فشرع في بيان المعجزات، فأشار إلى أن الله هو فاعل كل شيء، وأنه رتب هذه المراتب التي في العالم وأجراها على طبائعها المعلومة عندنا، لكن إذا أراد الله إظهار معجزة على يد رسول ، رأينا خلافا لهذه الرتب والطبائع قد ظهرت، ووجدنا طبائع قد أحييت، وأشياء في حد الممتنع قد وجبت ووجدت، وهذه هي المعجزات التي يؤيد الله بها رسله^(١).

وضرب أمثلة لتلك المعجزات فقال : " كصخرة انفلقت عن ناقة، وعصا انقلبت حية، وميت أحياء إنسان، ومئين من الناس رووا وتوضؤا كلهم من

^١ انظر أبو محمد علي ابن أحمد المعروف بابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٤١ ، ١٤٢ .

ماء يسير في قدح صغير ضيق عن بسط اليد فيه، لا مادة له؛ فعلمنا أن محيل هذه الطبائع، وفاعل هذه المعجزات هو الأول الذي أحدث كل شيء" (١).

ثم وضح أن هذه القود وهي المعجزات . قد أيد الله تعالى بها رجالا يدعون إليه، ويذكرون أنه تعالى أرسلهم إلى الناس، وأنه تعالى يشهد لهم بهذه المعجزات المحدثه منه تعالى، في حين رغبتهم إليه فيها، وضراعتهم إليه في تصديقهم بها (٢)، قال: " فعلمنا علما ضروريا يقينياً لا مجال للشك فيه أنهم مبعوثون من قبله عز وجل، وأنهم صادقون فيما أخبروا به عنه تعالى، إذ لا سبيل في طبيعة مخلوق في العالم إلى التحكم على الباري، ولا على طبائع خلقه بمثل هذا" (٣).

ثم وضح أن من لم ير تلك المعجزات، فنقل الكافة التي لا سبيل إلى جواز الكذب ولا الوهم عليها، هو السبيل إلى تصديقه بها، فيكون كمن شاهدها ولا فرق (٤).

والحاصل أن ابن حزم يستدل بخبر الثقات على إثبات وجود من قالوا بأنهم أنبياء، ثم يثبت صحة النبوات وأنها حق بما صدر لهؤلاء الأنبياء من معجزات، مؤكداً أن من ينكر الخبر المتواتر فهو خارج "عن كل معقول،

١ أبو محمد علي ابن أحمد المعروف بابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ص ١٤٢ .

٢ انظر أبو محمد علي ابن أحمد المعروف بابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٤١ ، ١٤٢ .

٣ انظر أبو محمد علي ابن أحمد المعروف بابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٤٣ .

٤ انظر أبو محمد علي ابن أحمد المعروف بابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٤٣ .

ولزمه أن لا يصدق أن من غاب عن بصره من الإنس بأنهم أحياء ناطقون كمن شاهد "(١)".

بل ذهب لأبعد من ذلك فقال: "يلزم من لم يصدق خبر الكافة، ويجيز فيه الكذب والوهم أن لا يصدق ضرورة بأن أحدا كان قبله في الدنيا، ولا أن في الدنيا أحد إلا من شاهد بحسه. فإن جوز هذا عرف بقلبه أنه كاذب وخرج عن حدود من يتكلم معه، لأن هذا الشيء لا يعرف ألبتة إلا من طريق الخبر لا غير"(٢).

والخلاصة أن ابن حزم سلك مسلكا قرر فيه أن نفس المعجزات يعلم بها صدق الرسول المتضمن إثبات مرسله سبحانه. فاستدل بالعقل على وجوب قبول النقل متى ما بلغ النقل حد التواتر، ثم استدل بالتواتر على وجود المعجزات، ثم استدل بها على صدق الأنبياء، فجمع بين العقل والنقل في إثبات النبوات وهذا منهج قويم، ومسلك كريم.

هذا هو كلام ابن حزم رحمه الله تعالى في حجج إثبات النبوات، و قد اقتصر على ما ذكرنا من الحجج ، وإن كانت الحجج في إثبات النبوات كثيرة، وكذلك للناس طرق عديدة في دلالة المعجزة على صدق النبي أو الرسول منها: طريق الحكمة، وطريق القدرة، وطريق العلم والضرورة، وطريق سنته وعادته التي بها يعرف أيضا ما يفعله، وطريق العدل وطريق الرحمة. ويؤكد ابن تيمية رحمه الله أنها كلها طرق صحيحة(٣). كذلك يتم معرفة النبوة بجنسها، فيمكن معرفة نبوة نبي عن طريق نبوة نبي آخر، كما

١ انظر أبو محمد علي ابن أحمد المعروف بابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٤٣ .

٢ انظر أبو محمد علي ابن أحمد المعروف بابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٤٣ .

٣ ابن تيمية : النبوات ج ٢ / ص ١٩٨ ، ٢٠٢ .

أخبر الله في القرآن عن نبوة كثير من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم فذكر قصصهم فيه^(١).

وفي رأيي أن من أفضل الطرق في إثبات النبوات هو إثباتها بالمعجزات خاصة إثباتها بالقرآن، كيف لا وهو المعجزة الخالدة الباقية ما بقي الدهر فقد تكفل الله بحفظه، فيه خبر من قبلنا، وحكم ما بيننا، ونبأ ما بعدنا، كما أثر ذلك عن علي رضي الله عنه. أعجز الفصحاء، وأذن له البلغاء، وما ترك من غائبة في الأرض ولا في السماء، ودخل بإعجازه العلمي في الإسلام طائفة من العلماء على اختلاف تخصصاتهم، فهذا عالم في الطب، وذاك في الفلك، وثالث في الفيزياء لا تنفذ كلماته ولا تنقضي عجائبه.

ومن تأمل في الحجج العقلية، والإعجاز العلمي في القرآن، والغيب الذي جاء به والذي منه الإخبار عن أشياء أنها ستقع فوقعت بالفعل، تيقن أن هذا القرآن من عند الله، وأن القصص التي أوردها القرآن للأنبياء قد وقعت بالفعل. ولا ريب أننا لن نجد كلاماً أكثر إقناعاً للخلق من كلام خالقهم، ولا حجة أبلغ من حجته سبحانه قال تعالى: "قل فله الحجة البالغة"^(٢).

وفي ختام هذا المبحث لابد لنا أن نشير ونشيد بجهد ابن حزم في الحجج التي ساقها لإثبات النبوات، خاصة في إثباتها بالمعجزات، فقد أبدع في هذا الجانب وأجاد.

^١ ابن تيمية : النبوات ج ٢ / ص ٦٨٤ .

^٢ سورة الأنعام الآية ١١٩ .

المطلب الثاني: ذكر ابن حزم لحجج المنكرين للنبوات:

أولاً: المنكرون للنبوات

وقبل الدخول في حجج المنكرين والرد عليها نشير إلى الأمم التي أنكرت النبوات.

قال ابن حزم رحمه الله: "ذهبت البراهمة وهم قبيلة بالهند فيهم أشرف أهل الهند ويقولون: إنهم من ولد برهمي، ملك من ملوكهم قديم، ولهم علامة ينفردون بها وهي خيوط ملونة بحمرة وصفرة يتقلدون بها السيوف، وهم يقولون بالتوحيد على نحو قولنا إلا أنهم أنكروا النبوات" (١).

يقول في تلبيس إبليس: "قد لبس إبليس على البراهمة والهندوس وغيرهم، فزين لهم جحد النبوات ليسد طريق ما يصل من الإله" (٢).

وقال في أعلام النبوة: "و أنكر فريق من الأمم نبوات الرسل و هم فيها ثلاثة أصناف :

أحدها : ملحدة دهرية يقولون بقدوم العالم و تدبير الطبائع، فهم بإنكار المرسل أجدر أن يقولوا بإنكار الرسل.

و الصنف الثاني : براهمة موحدة يقولون بحدوث العالم، و يجحدون بعثة الرسل، ويبطلون النبوات.

^١ أبو محمد علي ابن أحمد المعروف بابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٣٧ .

^٢ أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي: تلبيس إبليس، تحقيق : محمد الحسن بن إسماعيل، مسعد عبد الحميد السعدي، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ط ١ ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٤ م ، ص ٧٩ .

و الصنف الثالث : فلاسفة لا يتظاهرون بإبطال النبوات في الظاهر، وهم مبطلوها في تحقيق قولهم لأنهم يقولون : إن العلوم الربانية بعد كمال العلوم الرياضية من الفلسفة و الهندسة، ليضعها من كملت رياضته إذا كان عليها مطبوعاً^(١).

ونذكر الشهرستاني في الملل والنحل عندما تكلم عن أصناف العرب أن صنفاً منهم أنكروا النبوات قائلاً: "وصنف منهم أقروا بالخالق، وابتداء الخلق، ونوع من الإعادة، وأنكروا الرسل، وعبدوا الأصنام، وزعموا أنهم شفعائهم عند الله في الدار الآخرة، وحجوا إليها ونحروا لها الهدايا وقربوا القرابين، وتقربوا إليها بالمناسك والمشاعر، وأحلوا وحرّموا، وهم الدهماء من العرب إلا شريحة منهم"^(٢).

قلت : أما منكروا النبوات من الشيوعيين والملاحدة في عصرنا هذا، فهؤلاء في الأصل ينكرون وجود الخالق، ويزعمون بأن الحياة مادة، فإنكارهم للنبوات واضح. ويلحق بمنكري النبوات أيضاً ملاحدة الفلاسفة، والقرامطة، والباطنية، ممن يدعون الإسلام وهم في الأصل ينكرون الشرائع، فحال هؤلاء الباطنية والقرامطة: كحال المنافقين في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، يظهرون الإسلام، ويبطنون الكفر.

وبعض الملل والنحل آمنوا ببعض الأنبياء وكفروا ببعض، ومنهم ما ذكره ابن حزم في كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل حيث قال: "إن أهل هذه الملة يعني اليهود وأهل هذه النحلة يعني من أنكر التثليث من

^١ أبو الحسن علي بن محمد الماوردي : أعلام النبوة، ص ٣٤.

^٢ محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني: الملل والنحل ، تحقيق: محمد سيد كيلاي، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٤، ج ٢ ، ص

النصارى، موافقون لنا في الإقرار بالتوحيد، ثم بالنبوة وبآيات الأنبياء عليهم السلام وبنزول الكتب من عند الله عز وجل، إلا أنهم فارقونا في بعض الأنبياء عليهم السلام دون بعض، وكذلك وافقتنا الصابئة والمجوس على الإقرار ببعض الأنبياء." (١). وكذلك المانوية فقد صدقت بنبوة عيسى عليه السلام، وقالت بنبوة زرادشت، وكذبت بنبوة موسى عليه السلام (٢). ولعل الأصناف السابقة هي جملة ما يمكن ذكره ممن ينكر النبوات أو بعضها. ولقد آن الأوان لنشرع في ذكر حجج المنكرين. فإليك بها.

ثانياً : حجج المنكرين للنبوات.

والعجب ثم العجب أن يدعي منكروا النبوات منافاة النبوة للقدرة والحكمة، ووجه التعجب من ذلك أن دليلاً القدرة والحكمة هما من أقوى الأدلة على إثبات النبوات، فالله قادر على إرسال الرسل وتأييدهم بما شاء من الآيات والمعجزات التي تدل على صدقهم وعلى أنه سبحانه أرسلهم إلى خلقه مبشرين ومنذرين، فتقوم بذلك حجة الله على خلقه.

١ انظر أبو محمد علي ابن أحمد المعروف بابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٧٧ .

٢ انظر أبو محمد علي ابن أحمد المعروف بابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٨٢ .

فتبين أن دليلا القدرة والحكمة هما من أوضح الأدلة على إثبات النبوات فكيف يدعي المنكرون منافاتهما لبعثة الرسل؟ ولكن كما قال الله تعالى : [فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور] (١).

والإمام ابن حزم رحمه الله تعالى ذكر حجج من أنكر النبوات بحجة منافاتها للقدرة والحكمة ثم رد عليهم رداً مفحماً، بين فيه ضلالهم ونقض فيه أصولهم، كذلك رد على من أنكر الشرائع بحجة أن نسخ المتأخر منها للسابق غير مقبول، ورد على من أنكر الشرائع من الفلاسفة.

حجج المنكرين للنبوات كما ذكرها ابن حزم.

الحجة الأولى: الحكمة تضاد بعثة الرسل والأنبياء؛ لأن الحكيم لا يبعث من يعصيه .

قال أبو محمد فيمن أنكر النبوة من البراهمة: " وعمدة احتجاجهم في دفعها أن قالوا: لما صح أن الله عز وجل حكيم، وكان من بعث رسولا إلى من يدري أنه لا يصدقه فلا شك في أنه متعنت عابث فوجب نفي بعث الرسل عن الله عز وجل لنفي العبث والعنت عنه " (٢).

رد ابن حزم على الحجة الأولى:

ذكر ابن حزم في رده على هذه الحجة أن هؤلاء البراهمة الذين زعموا أن الحكمة تضاد بعثة الرسل . استناداً على ما أصلوه من أن الحكيم لا يبعث الرسل إلى من يدري أنه يعصيه . وافقوا المانية على أصولها في أن الحكيم لا يخلق من يعصيه، و من يكفر به ويقتل أولياءه.

١ سورة الحج الآية ٤٦ .

٢ أبو محمد علي ابن أحمد المعروف بابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٣٧ .

قال: "وهم يقولون أن الله تعالى خلق الخلق ليدلهم بهم على نفسه. ويقال لهم: قد علمنا وعلمتم أن في الناس كثيرا يجحدون الربوبية والوحدانية، فقولوا: إنه ليس حكيما من خلق دلائل لمن يدري أنه لا يستدل بها.

فإن قالوا: أنه قد استدل بها كثير، قيل لهم وقد صدق الرسل أيضا كثير.

فإن قالوا: أنه خلق الخلق كما شاء. قيل لهم وكذلك بعث الرسل أيضا كما شاء فبعثته تعالى الرسل هي بعض دلائله التي خلقها تعالى ليدل بها على المعرفة به تعالى، وعلى توحيده" (١).

يقول الماوردي: "و ذهب آخرون منهم إلى أن العلة في إبطال النبوات أن بعثة الرسل إلى من يعلم من حالتهم أنهم لا يقبلون منهم ما بلغوه إليهم يمنع من حكمة الله تعالى. و هذا فاسد من وجهين:

أحدهما : أنه ليس بعثت أن يكون فيهم من لا يقبله كما لم يكن فيما نصبه الله تعالى من دلائل العقول على توحيده عبثا، و إن كان منهم من لا يستدل به على توحيده كذلك بعثة الرسل.

و الثاني : أن وجود من يقبله فهم (٢) على هذا التعليل يوجب بعثة الرسل وهم يمنعون إرسالهم إلى من يقبل و من لا يقبل فبطل هذا التعليل" (٣).

قلت: يضاف إلى ذلك أن يقال: إن العقول السقيمة هي التي رفضت بعثة الرسل. وإنما وصفناها بالسقيمة لما في بعثة الرسل والأنبياء من الحكم ما لا

١ أبو محمد علي ابن أحمد المعروف بابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٣٨ .

٢ في الأصل (فهم) ، والصحيح (فيهم).

٣ أبو الحسن علي بن محمد الماوردي : أعلام النبوة، ص ٣٤ .

يكاد يحصى. كيف لا والعقول السليمة تدرك أن أمر الدنيا لا يستقيم إلا بإرشاد الأنبياء، بل وأن السعادة في الآخرة لا تدرك إلا بوحى الأنبياء.

الحجة الثانية : منافاة بعثة الرسل والأنبياء للقدرية:

قال أبو محمد: "وقالوا أيضا: إن كان الله تعالى إنما بعث الرسل إلى الناس ليخرجهم بهم من الضلال إلى الإيمان، فقد كان أولى به في حكمته وأتم لمراده أن يضطر العقول إلى الإيمان به، قالوا: فبطل إرسال الرسل على هذا الوجه أيضا ومجيء الرسل عندهم من باب الممتنع" (١).

رد ابن حزم على الحجة الثانية:

قال ابن حزم: "ويقال لمن احتج بالحجة الثانية من أن الأولى به أنه كان يضطر العقول إلى الإيمان به: إن هذا قول مردود مردود عليكم في قولكم: إن الله عز وجل خلق الخلق ليدلهم بهم على نفسه ووحدانيته. فيلزمكم على ذلك الأصل الفاسد أنه كان الأولى إذ خلقهم أن لا يدعمهم والاستدلال، وقد علم أن فيهم من لا يستدل وأن فيهم من يغمض عليه الاستدلال. فكان الأولى في الحكمة أن يضطر عقولهم إلى الإيمان به، ولا يكلفهم مؤونة الاستدلال وأن يلطف بهم ألطافا يختار جميعهم معها الإيمان كما فعل بالملائكة" (٢).

١ أبو محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٣٧ .

٢ أبو محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٣٨ .

ثم وضع ابن حزم أن الخالق ليس كخلقه من جميع الجهات، فإذا كان الخلق لا يقع منهم فعل إلا لعلته، فإن الباري تعالى وجب أن يكون فعله لا لعلته، وأنه لا يقال في شيء من أفعاله تعالى أنه فعل كذا لعلته^(١).

ثم قال: "وهذا أصل قد وافقنا البراهمة عليه وسائر من خالفنا من تقرير هذا المعنى ممن يقول بالتوحيد. وهكذا إذا بعث تعالى الأنبياء ليس لأحد أن يقول لم بعثهم؟ أو لم بعث هذا الرجل ولم يبعث هذا الآخر؟ ولا لم بعثهم في هذا الزمان دون غيره من الأزمان؟ ولا لم بعثهم في هذا المكان دون غيره من الأمكنة؟ كما لا يقال لم حباه بالسعد في الدنيا دون غيره؟ وهكذا كل ما في العالم إذا نظر فيه تعالى الذي لا يسأل عن شيء. قال تعالى: [لا يسأل عما يفعل وهم يسألون^(٢)] "^(٣).

أقول: نعم لا يسأل الله عما يفعل، ولكن الله حكمة في كل ما يفعل ويذر، علمها من علمها وجهلها من جهلها، وقول ابن حزم: إن الله لا يفعل لعلته^(٤) هو قول يؤدي لنفي الحكمة في أفعال الله، مع أن ابن حزم في

^١ انظر أبو محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١، ص ١٣٨. هذا الكلام الذي قاله ابن حزم لا يوافق منهج المحققين من العلماء وهو: أن أفعال الله إنما تكون لعلته وحكمة اقتضاها سبحانه في كل فعل يفعله.

^٢ سورة الأنبياء الآية ٢٣ .

^٣ أبو محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١، ص ١٣٩ .

^٤ وانظر ابن تيمية: النبوت، ج ٢، ص ٩١٧. ٩٢٦، لترى مناقشة شيخ الإسلام ابن تيمية لمن نفى أن يفعل الله لعلته، وبيان أن ذلك يؤدي إلى نفي الحكمة في أفعال الله. وانظر ابن تيمية: النبوت، ج ١، ص ٤٢٨. ٤٦٦، لترى أيضاً مناقشة شيخ الإسلام ابن تيمية لمن نفى الحكمة في أفعال الله، ونفى أن تكون أفعال الله لعلته.

أقول: وهذا كله يوضح بجلاء اضطراب الإمام ابن حزم في باب صفات الله عز وجل، ولذلك لا نستغرب منه أن يقول: (فلا حكيم إلا من أطاع الله عز وجل واجتنب معاصيه وعمل ما أمره ربه عز وجل، وليس من أجل هذا يسمى الباري حكيماً، إنما سمي حكيماً لأنه سمي نفسه حكيماً فقط، ولو لم يسم نفسه حكيماً ما سميناه حكيماً، كما لم نسمه عاقلاً إذ لم يسم بذلك، ثم نقول لهم: وأما قولكم إنما سمي الله حكيماً لفعله الحكمة فأنتم مقرون أنه أعطى الكفار قوة الكفر ولا يسمى مع ذلك مقبواً على الكفر، وأما من قال منهم أنه تعالى يفعل لاجتلاب المنافع إلى عبادته ودفع المضار عنهم فكلام فاسد إذا قيل على عمومته؛ لأن كل مستضر بفعله في دنياه وأخراه لم يصرف الله

الوقت نفسه يريد أن يثبت لمن أنكر النبوات بحجة منافاتها للحكمة، خطأ قولهم، وكان يكفيه أن يقول: كون الله لم يضطر البشر إلى الإيمان به لا ينافي ذلك قدرة الله ، بل من تمام قدرته في الخلق أن باين بين مخلوقاته في الإيمان، فجعل من خلقه . وهم الملائكة . من يطيعه فلا يعصيه سبحانه، و جعل للبشر اختياراً واقعاً تحت مشيئته المطلقة، هذا بالإضافة إلى الحكم الكثيرة في خلق الإنسان بهذا التركيب والتي من أهمها اختباره في هذه الحياة في إيمانه، فإذا كفر أدخله الله النار بقدرته.

وبعض الذي قلته مستفاد من كلام ابن حزم في رده على من زعم أن الحكمة تضاد بعثة الرسل، إلا أنه بأسلوب آخر فيه إثبات صفة الحكمة لله بما يليق بكماله وجلاله.

الحجة الثالثة:

اختلاف ما جاءت به الرسل والأنبياء ونسخ المتأخر ما شرعه المتقدم

بدأ ابن حزم رحمه الله بذكر حجتهم قائلاً " وعمدة من أبطل النسخ أن قالوا: إن الله عز وجل يستحيل منه أن يأمر بالأمر ثم ينهى عنه، ولو كان كذلك لعاد الحق باطلا، والطاعة معصية، والباطل حقا، والمعصية طاعة" (١).

تعالى عنه تلك المضرة، وقد كان قادرا على صرفها عنه إلا أن يعجزوه عن ذلك فيكفروا). انظر أبو محمد علي ابن أحمد المعروف بابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٣ ، ص ١٥٣ .

١ أبو محمد علي ابن أحمد المعروف بابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٨٠ .

يقول ابن حزم في بداية رده على اليهود المبطلين للنسخ في الشرائع: "لا نعلم لهم حجة غير هذه، وهي من أضعف ما يكون من التمويه الذي لا يقوم على ساق، لأن من تدبر أفعال الله كلها، وجميع أحكامه وآثاره تعالى في هذا العالم تيقن بطلان قولهم هذا؛ لأن الله تعالى يحيى ثم يميت ثم يحيى، وينقل الدولة من قوم أعزّ فيذلهم، إلى قوم أذلّه فيعزهم ويمنح من شاء ما شاء من الأخلاق الحسنة والقبيحة، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون" (١).

ولقد أبطل ابن حزم حجة من أبطل النسخ من اليهود بوجوه:

الأول: دعوتهم إلى التدبر في أفعال الله وآثاره من إحياء وإماتة وغيرها من المتضادات (٢).

الثاني: تبدل الحكم على الأشخاص عند دخولهم من دين إلى آخر، فقبل الدخول دماؤهم حلال وقتلهم حق، وبعد الدخول دماؤهم حرام وقتلهم حرام (٣).

الثالث: اختلاف الحكم للشيء الواحد في الشريعة الواحدة نتيجة لاختلاف الزمن . ومثاله: عمل اليهود في السبت حرام ولكنه مباح في بقية الأيام.

فهذا إثبات لما أنكروه من أن الأمر يعود نهياً، وإن الطاعة تعود معصية، وهكذا القول في جميع شرائعهم؛ لأنها هي عبارة عن أوامر في وقت محدود بعمل محدود. وهذا بعينه هو نسخ الشرائع الذي أبوه وامتنعوا منه (٤). ويدل عليه الوجه التالي...

١ أبو محمد علي ابن أحمد المعروف بابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٨٠ .

٢ انظر أبو محمد علي ابن أحمد المعروف بابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٨٠ .

٣ انظر أبو محمد علي ابن أحمد المعروف بابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٨٠ .

٤ انظر أبو محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٨٠ .

الرابع: جميع اليهود مقرون بأن شريعة يعقوب عليه السلام كانت غير شريعة موسى عليه السلام. وكمثال لذلك فقد جمع يعقوب عليه السلام بين أختين هما {ليا} و{راحيل} ابنتي {لابان} في عصمته، وهذا حرام في شريعة موسى عليه السلام^(١).

وهذه الأوجه الأربعة السابقة وإن كان قد ذكرها الإمام ابن حزم في معرض رده على اليهود إلا أنها تصلح للرد على كل من أنكرالنسخ في الشرائع. أما الوجهان الأولان فالأمر فيهما ظاهر؛ لأنهما عامان . وأما الثالث فلوجود المثل له في جميع الشرائع بيقين، وأما الرابع فلأن كل شريعة لاحقة ناسخة للتي قبلها.

وقد انفرد اليهود بوجه خامس هو...

الخامس: وجود البداء^(٢) في توراتهم الذي هو أشد من النسخ، ومثاله أن فيها: "أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام: سأهلك هذه الأمة، وأقدمك على أمة أخرى عظيمة، فلم يزل موسى يرغب إلى الله تعالى في أن لا يفعل ذلك حتى أجابه فأمسك عنهم"^(٣)، وهذا مع ما فيه من القول بالبداء ، فيه ادعاء أن الله سبحانه يكذب، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً^(٤).

أقول: ولا يظن ظان أن ابن حزم عندما يستشهد ببعض الأقوال التي في التوراة أو الإنجيل أو غيرهما، أنه مقتنع بكل ما ورد فيها. فابن حزم هو أجل من ذلك . بل على العكس من ذلك فإن ابن حزم يصرح بالتحريف الذي

^١ انظر أبو محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٨٠ ، ١٨١ .

^٢ هو أن يفعل الله شيئاً ثم يظهر له خلافه فيعدل عنه بزعمهم . تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

^٣ أبو محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٨١ .

^٤ انظر أبو محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٨١ .

وقع فيها، وإنما هذا في مقام المناظرة، كالجام اليهود الحجة بالبداء الذي في توراتهم بقوله : إنه أشد من النسخ، وإن كان ابن حزم لا يراه، فقد صرح بأن البداء كذب على الله. قال ابن حزم: "وأما أن نحتج على مخالفنا بأنه موافق لنا في بعض ما نختلف فيه فليس حجة علينا، فإن وجد لنا يوماً من الأيام، فإنما نخاطب به جاهلاً نستكشف تخليطه بذلك، أو نبكته لنريه تناقضه فقط. و أيضاً فإننا إنما آمنا بنبوة موسى الذي أنذر بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وبالتوراة التي فيها الإنذار برسالة محمد صلى الله عليه وسلم باسمه، ونسبه، وصفة أصحابه رضي الله عنهم، وهكذا نقول في عيسى والإنجيل حرفاً حرفاً" (١).

والحاصل أن ابن حزم لا يستشهد بما ورد في هذه الكتب إلا في إحدى هاتين الحالتين:

الحالة الأولى: أن يكون ما ذكر في هذه الكتب موافقاً لما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم .

الحالة الثانية: أن يذكر التناقض الموجود فيها ليبين أنها محرفة، وأنها ليست من عند الله .

وما أجمل أن نضيف ما قاله الماوردي إلى ما قاله ابن حزم في الرد على من أنكر النبوات بحجة النسخ الوارد في شرائع الرسل والأنبياء .

قال الماوردي في رده على منكري النبوات بحجة النسخ: " هذا فاسد من وجهين :

أحدهما : أن ما جاء به الرسل ضريان :

١ أبو محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٨٣ .

أحدهما : ما لا يجوز أن يكون إلا على وجه واحد وهو التوحيد و صفات الرب المربوب فلم يختلفوا فيه و أقواله متناصرة عليه.

و الضرب الثاني : ما يجوز أن يكون من العبادات على وجه و يجوز أن يكون على خلافه، و يجوز أن يكون في وقت و لا يجوز أن يكون في غيره، و هذا النوع هو الذي اختلفت فيه الرسل لاختلاف أوقاتهم : إما بحسب الأصلح، و إما بحسب الإرادة، و هذا في قضايا العقول جائز.

و الوجه الثاني : أن قضايا العقول قد تختلف فيها العقلاء و لا يمنع ذلك أن يكون العقل دليلاً، كذلك ما اختلف فيه الرسل لا يمنع أن يكون حجة^(١).

قلت: فجاز بما سبق النسخ عقلاً وثبت وقوعه شرعاً . في غير توحيد الله . من الشرائع المختلفة، التي أتى بها الرسل والأنبياء مراعاة لمصالح العباد، وفي تقرير ذلك يقول تعالى : [لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً]^(٢) . والنسخ قد يقع في الشريعة الواحدة. وقد تنسخ شريعة نبي شريعة النبي الذي قبله، كما جاء على لسان عيسى عليه السلام في القرآن قال تعالى: [ومصدقاً لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم]^(٣).

وفي النسخ من الفوائد والحكم ما لا يخفى على من نظر في النسخ الذي أتت به الرسل والأنبياء ، ومن أبرز هذه الحكم التخفيف على العباد في بعض المنسوخات، ولهذا أشار القرآن إلى محاسن النسخ بأجمل عبارة قال

^١ أبو الحسن علي بن محمد الماوردي : أعلام النبوة، ص ٣٥ ، ٣٦ .

^٢ سورة المائدة الآية ٤٨ .

^٣ سورة آل عمران الآية ١٥٠ .

تعالى: " ما ننسخ من ءاية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير" (١).

وقد وقع النسخ فيما عدا التوحيد كما سبق وأن ذكرنا، فإن التوحيد لم تختلف الشرائع فيه؛ لأن قضايا التوحيد لا تختلف، بل كل نبي يصدق فيها ما قرره الأنبياء قبله، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: "شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه" (٢).

المطلب الثالث: رد ابن حزم على المنكرين للنبوات من الفلاسفة:-

يحسن بنا أولاً أن نتكلم على مفهوم النبوة عند الفلاسفة، قبل أن نذكر رد ابن حزم عليهم، وعليه فكلما هنا ينحصر في مسألتين:

المسألة الأولى: مفهوم النبوة عند الفلاسفة.

المسألة الثانية: رد الإمام بن حزم على من أنكر النبوات من الفلاسفة .

ولنبداً بالمسألة الأولى: وهي مفهوم النبوة عند الفلاسفة.

١ سورة البقرة الآية ١٠٦ .

٢ سورة الشورى الآية ١٣ .

للفلاسفة^(١) تصور معين للموجودات، وللنبوة على وجه التحديد، فهم يقسمون الموجودات إلى واجب الوجود، وهو الله تبارك وتعالى وكل ما سوى الله يطلقون عليه الممكن. ويسمون الله واجب الوجود، والسبب، والعلة الأولى وعلة العلل^(٢). ويقولون إنه أفاض الموجودات، وأول موجود له: الموجودات التي يسمونها الثواني ويسمونها العقول، وهي عندهم تسعة، ترتبت في الوجود كترتب الآحاد من الأعداد: أول وثاني إلى التاسع^(٣). ثم تلي مرتبة الثواني مرتبة العقل العاشر والذي يسمونه بالعقل الفعال. ويزعمون أن قوى العقول التسعة التي قبله قد اجتمعت فيه؛ ولذلك ففوة العقل الفعال عندهم تسري في الأجرام الناطقة التي دون فلك القمر كما يسري نور الشمس، وعنه يحصل النطق في كل مكون مستعد لقبول القوة الناطقة، وكل ما تجوهر من الموجودات الطبيعية فهو به ملحق، وهذا المعنى ليس بموجود في الثواني، فالعقل الفعال عندهم موكل بعالم العناصر من هواء وسحاب وجبال وحيوان ونبات ومعدن، بل ومنه يفيض الوحي على الأنبياء^(٤). ولنا عودة لنكمل الكلام على العقل الفعال.

ثم تلي مرتبة العقل الفعال مرتبة النفس، فمن الفلاسفة من جعل النفوس اثنتا عشر: تسع للأفلاك التسعة، وثلاث لما تحت فلك القمر: هي النباتية والحيوانية والناطقية، ومنهم من جعلها خمس عشر تسع للأفلاك التسعة

^١ قال في التعريفات: "الفلسفة التشبه بالإله بحسب الطاقة البشرية لتحقيق السعادة الأبدية". انظر الجرجاني: التعريفات، ج ١، ص ٥٤. وكلمة الفلسفة يونانية الأصل ومعناها الحكمة، ومعني فيلسوف أي: مُحِبُّ الْحِكْمَةِ، والاسم منه الْفَلَسَفَةُ، مُرَكَّبَةٌ كَالْحَوْقَلَةِ. انظر ابن منظور: لسان العرب، ج ٩، ص ٢٧٣، وانظر محمد مرتضى تاج العروس ج ١، ص ٥٩٢٨.

^٢ هذه الأسماء التي يسمونها بما الله من الإلحاد في أسمائه سبحانه وتعالى، فإن أسماء الله توقيفية، بمعنى أنه لا يجوز تسمية الله بغير ما سمي به نفسه، أو بغير ما سماه به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

^٣ انظر أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي الأندلسي: الحقائق في المطالب العالية الفلسفية العويصة، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر، دمشق - سورية، ط ١، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م، ج ١، ص ٣٧، ٣٨.

^٤ انظر أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي الأندلسي: الحقائق في المطالب العالية الفلسفية العويصة، ج ١، ص ٣٨، ٤٠.

وخمس لما تحت فلك القمر هي الحيوانية، والناطقة، والفلسفية، والنفوس النبوية، والخامسة عشر هي النفوس الفلكية. وجعلوا لكل واحدة من هذه النفوس خواص^(١)، يهمنها منها خواص النفوس النبوية عندهم، والتي سنذكرها إن شاء الله بالتفصيل.

ثم تلي مرتبة النفوس مرتبة الصورة، ثم مرتبة الجوهر الحامل للصورة^(٢) وهو صنفان: أرفعهما الجوهر الذي يحمل صورة الأفلاك وما فيها وهو عندهم ثابت، وأدناها الجوهر الذي يحمل الصورة التي تحت فلك القمر، وهذا الجوهر الحامل لصورة الموجودات التي دون فلك القمر يسمونه الهولي^(٣) وهو عندهم متغير فهذا مذهب أرسطاطاليس وأفلاطون وسقراط وغيرهم من مشاهير الفلاسفة^(٤).

وأكثر الفلاسفة تعظيماً للنبوة يجعلون للنفوس النبوية ثلاث خصائص:

الخاصة الأولى: أن تكون للنبي قوة قدسية وهي قوة الحدس، وهي قوة عقلية، بحيث يكون له من الذكاء ما يؤهله لأن يحصل له من العلم بسهولة ما لا

^١ انظر أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي الأندلسي: الحقائق في المطالب العالية الفلسفية العويصة، ج ١، ص ٤٠ - ٤٥.

^٢ الجوهر هو: القائم بنفسه ويحمل غيره، فكل جرم في العالم جوهر، وطوله وعرضه ولونه وحركته وشكله وسائر صفاته المحمولة فيه هي العَرَض وتسمى الصورة عند الفلاسفة. انظر علي بن أحمد بن سعيد المعروف بابن حزم الظاهري أبو محمد: التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامة والأمثلة الفقهية، تحقيق د. إحسان عباس، دار مكتبة الحياة، بيروت. لبنان، ط ١، ١٩٠٠ م. ج ١، ص ٢٠. وانظر: د. عبد الراضي محمد عبد المحسن: نظرية الوجود لدى ابن حزم، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط ١، ١٤٢٧ هـ/ ٢٠٠٦ م، ص ١٥٢.

^٣ كلمة هيولي عند الفلاسفة هي مسمى المادة، وهي أحد جزأي الجسم عندهم، والجزء الآخر يسمونه الصورة، وكل جزء من هذا الجسم محله الجزء الآخر. فالصورة صورة للمادة أي أنها تحل بها. والمادة محل للصورة. انظر ابن تيمية: النبوات، ج ١، ص ٣٠٨، حاشية رقم ٥.

^٤ انظر أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي الأندلسي: الحقائق في المطالب العالية الفلسفية العويصة، ج ١، ص ٤١ - ٤٤.

يحصل لغيره إلا بكلفة شديدة. ومن هؤلاء الفلاسفة من يقول: للنبي نسبة ينال بها العلم من غير تعلم كابن سينا^(١) وأمثاله^(٢).

الخاصة الثانية: قوة التخيل والحس الباطن بحيث يتمثل له ما يعلمه في نفسه فيراه ويسمعه. فيرى صوراً نورانية هي الملائكة، ويرى في نفسه نوراً وذلك هو الرسالة عندهم، ويسمع أصواتاً هي كلام الله مثل ما يحصل للنائم ولبعض أهل الرياضة وللممرورين الذين يصرعون. فعندهم ما أخبرت به الرسل والأنبياء إنما هو تخيل لا علاقة له بالحقائق. ليس هناك عندهم ملك منفصل ولا كلام نزل به الملك من الله^(٣).

الخاصة الثالثة: قوة نفسانية يتصرف بها في هولي^(٤) العالم، كما أن للعائن قوة يؤثر بها في المعين. ولذلك فإن النبوة عند الفلاسفة لا تنقطع

^١ الحسين بن عبد الله بن سينا أبو علي ، فيلسوف ، طبيب ، شاعر ، وهو الملقب بالرئيس. كان يقول بقدم العالم ، ونقل عنه أنه كان يقول : إن الله لا يعلم الجزئيات ، ونفى المعاد الجسماني ، حكى جده الحسن بن علي بن سينا عن نفسه فقال : كان أبي من أهل بلخ فسكن بخارى . تقلد الوزارة في همدان ، وثار عليه عسكرها وهبوا بيته ، فتواري . مات سنة ٤٢٨ هـ .

قال ابن حجر عن ابن سينا المترجم له : " ما أعلمه روى شيئاً من العلم ، ولو روى لما حلت الرواية عنه ؛ لأنه فلسفي النحلة ضال لا رضي الله عنه " . انظر أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني : لسان الميزان ، تحقيق : دائرة المعارف النظامية بالهند ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ، ج ٢ ، ص ٢٩١ . و انظر خير الدين الزركلي : الأعلام : قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، دار العلم للملايين ، ط ٥ ، ١٩٨٠ م ، ج ٢ ، ص ٢٤١ . وانظر عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين تراجم مصنفى الكتب العربية ، مكتبة المثنى ، بيروت دار إحياء التراث العربي بيروت ج ٤ ، ص ٢٠ .

^٢ انظر أحمد بن عبد الحليم بن تيمية : كتاب الصفدية ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، دار الفضيلة ، الرياض ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، ج ١ ، ص ٦ . و انظر أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس : شرح العقيدة الأصفهانية ، تحقيق : إبراهيم سعيداي ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٥ ، ج ١ ، ص ١٤٠ .

^٣ انظر أحمد بن عبد الحليم بن تيمية : كتاب الصفدية ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، ج ١ ، ص ٦ ، ٧ . وانظر أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس : شرح العقيدة الأصفهانية ، ج ١ ، ص ١٤٠ ، ١٤١ . و انظر ابن تيمية : كتاب النبوات ج ١ ، ص ٧١٣ .

^٤ كلمة هولي عند الفلاسفة هي مسمى المادة ، وهي أحد جزأي الجسم عندهم ، والجزء الآخر يسمونه الصورة ، وكل جزء من هذا الجسم محله الجزء الآخر . فالصورة صورة للمادة أي أنها تحل بها . والمادة محل للصورة . انظر ابن تيمية : النبوات ، ج ١ ، ص ٣٠٨ ، حاشية رقم ٥ . قال الإمام ابن تيمية : (والتحقيق أن المادة والصورة لفظ يقع على معان كالمادة والصورة الصناعية والطبيعية والكلية والأولية ، فالأول : مثل الفضة إذا جعلت درهما وخاتماً وسبيكة ، والخشب إذا جعل كرسيًا ، واللبن والحجر إذا جعل بيتًا ، والغزل إذا نسج ثوبًا ونحو ذلك ، فلا ريب أن المادة هنا التي يسمونها الهولي : هي أجسام قائمة بنفسها ، وأن الصورة أعراض قائمة بها ، فتحول الفضة من صورة إلى صورة هو تحولها من شكل إلى شكل ، مع أن حقيقتها لم تتغير أصلاً " . انظر أحمد بن عبد الحليم المشهور بابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل أو

وكثيراً منهم يزعم أن النبوة مكتسبة وكان السهروردي^(١) المقتول يطلب أن يصير نبياً^(٢) وكذا ابن سبعين^(٣).

فانظر كيف جعل هؤلاء الفلاسفة النبوة من جنس قوة علم وقدرة الناس! وعندهم ما دامت هذه الخصال الثلاث، قد اجتمعت في شخص واحد فهو مؤهل لأن يكون نبياً^(٤).

وعقلاء المتفلسفة يفضلون النبي على الفيلسوف والولي كابن سينا وأمثاله، وأما غلاتهم كالفارابي وأمثاله فقد يفضلون الفيلسوف على النبي، وذلك لأن الفارابي وأمثاله يجعلون النبوة من جنس المنامات فقط^(٥). ويفضل أشباههم كابن عربي الطائي^(٦). صاحب الفتوحات المكية وفصوص الحكم. الولي على النبي^(٧).

موافقة صريح المعقول لصريح المنقول، ضبط عبد اللطيف عبدالرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، ط ١، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م ج ٣، ص ٨٤.

^١ الشهاب السهروردي الفيلسوف صاحب السيمياء، كان شافعي المذهب ويلقب بالمؤيد بالملكوت، وقد كان أحد الأذكياء، قتل لسوء معتقده حيث كان متهماً بالخلال العقيدة والتعطيل واعتقاد مذهب الحكماء واشتهر ذلك عنه، فافتى علماء حلب بقتله، فقتل شاباً في سنة ٥٨٦ هـ. انظر لسان الميزان ج ٣/ص ١٥٦.

^٢ انظر أحمد بن عبد الحليم بن تيمية: كتاب الصفدية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ج ١، ص ٧. وانظر أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحرائي أبو العباس: شرح العقيدة الأصفهانية، ج ١، ص ١٤٠، ١٤١.

^٣ هو: عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن سبعين بن نصر بن فتح بن سبعين العنكي الغافقي المرسى المربوطي أبو محمد، نزيل بجاية ثم مكة، ولد سنة ٦٢٤ هـ، أو في التي قبلها، واشتهر بالزهد والسلوك، وكانت له بلاغة وبراعة، وتفنن في العلوم، وكثر أتباعه وله مقالة في تصوف الاتحادية، واشتهر عنه مقالة رده وهي قوله: لقد كذب بن أبي كبشة على نفسه حيث قال لا نبي بعدي، بقصد بذلك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم [قاتل الله السهروردي]، ويقال إنه فر من العرب بسبب ذلك. انظر لسان الميزان ج ٣/ص ٣٩٢.

^٤ انظر ابن تيمية: كتاب النبوات ج ١، ص ٥٠٥.

^٥ انظر ابن تيمية: كتاب النبوات ج ١، ص ٦٩٥.

^٦ هو محمد بن علي بن محمد ابن عربي أبو عبد الله الطائي الأندلسي، أبوبكر المعوف بمحي الدين بن عربي، ولد بالأندلس سنة ٥٠٦ هـ، طاف البلاد وأقام بمكة مدة وصنف فيها كتابه المسمى بالفتوحات المكية في نحو عشرين مجلداً فيها ما يعقل وما لا يعقل، وما ينكر وما لا ينكر، وما يعرف وما لا يعرف، وله كتابه المسمى بفصوص الحكم، فيه أشياء كثيرة ظاهرها كفر صريح. من غلاة فلاسفة الصوفية، كان يقول بوحدة الوجود، ويدعي أنه خاتم الأولياء، وأن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء، وأنه أفضل من النبي صلى الله عليه وسلم. انظر إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء: البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ج ١٣، ص ١٥٦، وانظر مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣ هـ / ٢٠٩٢ م، ج ٢، ص

والنبي عند الفلاسفة متصل بالعقل الفعال عن طريق الخيال، وما الوحي المنزل عليه إلا أثر من آثار هذا الخيال، فالوحي عندهم هو ما يفيض على النفوس من العقل الفعال، وهذا الفيض من النفوس بحسب استعدادها وهو دائم، وإنما يحصل في القلوب بحسب استعداد الأشخاص، فأبي عبد كان استعداده أتم، كان الفيض عليه أتم من دون تخصيص من الله^(٢)، وهذا مناقض لما جاءت به الأديان السماوية، ومناف للحكم الربانية، فالله أعلم حيث يجعل رسالته.

وقد كان ابن عربي^(٣) . صاحب الفتوحات المكية وفصوص الحكم . يدعي أنه خاتم الأولياء، ويقول: إن خاتم الأولياء . ويعني بذلك نفسه . أفضل من خاتم الأنبياء . ويعمل ذلك بأنه "يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى به إلى النبي، وأن الملك على أصلهم هو الحال الذي في نفس النبي، والنبي بزعمهم يأخذ عن ذلك الحال، والحال يأخذ عن العقل، ثم زعم هذا إنه يأخذ عن العقل الذي في هذا الخيال؛ فلهذا قال إنه يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك ما يوحى به إلى النبي"^(٤).

والأنبياء عند الفلاسفة يكذبون؛ لذلك رد عليهم بن حزم في الفصل، وكذلك ابن تيمية وغيره، وقد نقض ابن تيمية أصولهم الفاسدة في كثير من كتبه: كما في مجموع الفتاوى، والعقيدة الأصفهانية، والصفدية، ودرء التعارض، والرد على المنطقيين، والنبوات وبغية المرتاد في الرد على

١٢٣٨ هـ . و انظر شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية : الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، تحقيق د. عبد الرحمن بن

عبدالكريم اليحيى، مكتبة دار المنهاج، السعودية، الرياض، ط ١، ١٤٢٨هـ، ص ١٢٣ .

١ انظر ابن تيمية: كتاب النبوات ج ١ ، ص ٧١٣ .

٢ انظر ابن تيمية: كتاب النبوات ج ١ ، ص ٧١٣ .

٣ تقدمت ترجمته ص ٥٤ .

٤ انظر ابن تيمية: كتاب النبوات ج ١ ، ص ٧١٣ .

الفلاسفة، وغيرها من الكتب، ووضح كثرة اختلافهم فيما بينهم،
وشركهم، وجهلهم، وكذبهم على الأنبياء.

والفلاسفة يقسمون المتصرفين في الكون إلى عقول عشرة، وكل عقل مبدع
لما تحته، والعقل الفعال عندهم هو أحد هذه العقول المتصرفة في الكون،
وهو مصدر التشريع في الحياة، وهو أيضاً نقطة الإتصال بين العبد وربّه.
وأما الملاحظة منهم فهم ينكرون الشرائع، شأنهم في ذلك شأن الباطنية،
ويرون أن العقل الفعال يلزمه عقل ونفس وفلك، وكذلك بقية العقول. وقد رد
عليهم ابن تيمية كل هذا الباطل^(١). وكذلك رد ابن حزم على من زعم منهم
بتدبير الكواكب السبعة وأزليتها^(٢).

المسألة الثانية: رد ابن حزم على من أنكر النبوات من الفلاسفة .

لقد اهتم الإمام ابن حزم في كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل، بالرد
على من أنكر الشرائع من الفلاسفة، فعقد فصلاً وضح فيه أنهم هم أبعد
الناس عن العلم بالفلسفة^(٣)؛ لأنهم جاهلون بمعنى الفلسفة، وأصولها،
وثمرتها، والغرض منها. ووضح أن الغرض من تعلمها هو إصلاح النفس
وهو عينه غرض الشرائع. قال في مطلع كلامه في هذا الفصل: "الفلسفة
على الحقيقة إنما معناها وثمرتها والغرض المقصود نحوه بتعلمها، ليس هو
شيئاً غير إصلاح النفس، بأن تستعمل في دنياها الفضائل وحسن السيرة
المؤدية إلى سلامتها في المعاد، وحسن السياسة للمنزل والرعية، وهذا نفسه

^١ انظر أحمد بن عبد الحليم المشهور بابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صريح المعقول لصريح المنقول، ضبط عبد اللطيف
عبدالرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م، ج ٣، ص ١٠٠-١٠٣.

^٢ أبو محمد علي ابن أحمد المعروف بابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١، ص ٦٨، ٦٩.

^٣ قال في التعريفات: "الفلسفة التشبه بالآله بحسب الطاقة البشرية لتحصيل السعادة الأبدية، انظر الجرجاني: التعريفات، ج ١، ص
٥٤. وكلمة الفلسفة يونانية الأصل ومعناها الحكمة، ومعني فيلسوف أي: مُحِبُّ الْحِكْمَةِ، والاسم منه الْفَلَسَفَةُ مُرَكَّبَةٌ كَالْحَقُولَةِ. انظر ابن
منظور: لسان العرب، ج ٩، ص ٢٧٣، وانظر محمد مرتضى تاج العروس ج ١، ص ٥٩٢٨.

لا غيره هو الغرض في الشريعة، هذا ما لا خلاف فيه بين أحد من العلماء بالفلسفة، ولا بين أحد من العلماء بالشريعة"^(١). ومن الواضح أن ابن حزم يرى أن الفلسفة ينبغي أن تدل متعلمها على اعتناق الشريعة لا العكس؛ لذا فهو يرى أن من أنكر الشرائع من الفلاسفة، لا يعرف معنى الفلسفة وأنه مجرد مدع للانتماء إليها، ويبدأ بالرد على هؤلاء قائلاً: "فيقال لمن انتمى إلى الفلسفة بزعمه وهو ينكر الشريعة بجهله على الحقيقة بمعاني الفلسفة، وبعده عن الوقوف على غرضها ومعناها: أليست الفلسفة بإجماع من الفلاسفة مبينة للفضائل من الرذائل؟ موقفة على البراهين المفرقة بين الحق والباطل؟ فلا بد من بلى ضرورة"^(٢).

ويواصل ابن حزم الرد بأسلوبه المعهود ذي الأسئلة التقريرية، والإلزامات المفحمة، موضحاً أن ما ينسبه هؤلاء الفلاسفة من كذبٍ للأنبياء . مدعين أن الأنبياء يفعلون ذلك الكذب لمصلحة الجمهور . إنما هو زور وبهتان، فالنبوة حق وصدق، قائمة على الصدق آمرة به، ناهية عن الكذب إلا للضرورة الدافعة إليه، بالنص الوارد على العباد من رب العباد. مؤكداً أن أصول الفلاسفة توجب صحة شرائع الأنبياء فهم مجمعون على أن الفلسفة مبينة للفضائل من الرذائل، موقفة على البراهين المفرقة بين الحق والباطل، وأن صلاح العالم لا يتم إلا بشرائع زاجرة عن تظالم الناس وعن القبائح^(٣).

ثم أخذ ابن حزم يوضح أن هذا الزجر لن يتم إلا بشرائع من عند الله؛ لأن الله هو الذي خلق الخلق وهو أعلم بما يصلحهم. وأما الشرائع التي هي من وضع البشر فهي متناقضة تحرم هذه ما تحله هذه، وتوجب هذه ما تسقط

^١ أبو محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٧١ .

^٢ أبو محمد علي ابن أحمد المعروف بابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٧١ .

^٣ أبو محمد علي ابن أحمد المعروف بابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٧١ ، ١٧٢ .

الأخرى، ومن المحال أن يكون الشئ وضده حقاً معاً في وقت واحد، على إنسان واحد ووجه واحد، وليس في العقل تحريم شئ مما جاء تحريمه، ولا إيجاب شيء مما جاء إيجابه فبطل الترجيح بالعقل. وبموجب العقل وضرورته أن الحق لا يكون من الأقوال إلا في واحد منها ولا سبيل إلى أن يأتوا بما يحق منها شيئاً دون سائرهما أصلاً، فإذا لا دليل على صحة شيء منها فقد صارت كلها باطلة، إذ ما لا دليل على صحته فهو باطل، وليس لأحد أن يأخذ بقول ويترك غيره بلا دليل. فبطل بهذا بطلانا ضرورياً كل ما تعلقوا به، وصح يقيناً أن الحق في شرائع الأنبياء، وأنها صحاح من عند الله^(١).

المطلب الرابع: الكلام على من أنكر بعض النبوات كما ذكرهم ابن حزم

ذكر ابن حزم فيما ذكر ممن أنكر نبوة بعض الأنبياء: اليهود والنصارى^(٢)، وذكر أن من فرق الصابئين من أقر بنبوة بعض الأنبياء عليهم السلام كإدريس وغيره ممن لا يوقن بصحة قولهم فيه كعادمون واسقلابيوس وإيلن وغيرهم^(٣). وأن المجوس اقتصروا على نبوة زرادشت فقط^(٤).

^١ أبو محمد علي ابن أحمد المعروف بابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٧١ ، ١٧٥ .

^٢ أبو محمد علي ابن أحمد المعروف بابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٧٧ .

^٣ أبو محمد علي ابن أحمد المعروف بابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٨٢ ، ١٩٩ .

فقال رحمه الله: "إن أهل هذه الملة يعني اليهود، وأهل هذه النحلة يعني من أنكر التثليث من النصارى موافقون لنا في الإقرار بالتوحيد، ثم بالنبوة وبآيات الأنبياء عليهم السلام، وبنزول الكتب من عند الله عز وجل، إلا أنهم فارقونا في بعض الأنبياء عليهم السلام دون بعض. وكذلك وافقتنا الصابئة والمجوس على الإقرار ببعض الأنبياء دون بعض" (٢).

وعندما ذكر ابن حزم فرق اليهود وضح أنهم قد افترقوا على خمس فرق وهي: السامرية (٣)، والصدوقية (٤)، والعنانية (٥)، والربانية (٦)، والعيسوية (٧).

والذي يهمنا من هذه الفرق فرقة السامرية؛ لأنها هي التي أنكرت كل النبوات التي كانت في بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام، قال عنهم ابن حزم: "وهم يبطلون كل نبوة كانت في بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام وبعد يوشع عليه السلام، فيكذبون بنبوة شمعون، وداود، وسليمان إشعيا،

١ أبو محمد علي ابن أحمد المعروف بابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٨٢ .

٢ أبو محمد علي ابن أحمد المعروف بابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٧٧ .

٣ قال عنهم ابن حزم : "يقولون إن مدينة القدس هي: { نابلس } وهي من بيت المقدس على ثمانية عشر ميلا، ولا يعرفون حرمة لبيت المقدس، ولا يعظمونه وهم توراة غير التوراة التي بأيدي سائر اليهود". ثم قال: "وهم بالشام لا يستحلون الخروج عنها". انظر أبو محمد علي ابن أحمد المعروف بابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٧٧ ، ١٧٨ .

٤ قال ابن حزم : "ونسبوا الى رجل يقال له صدوق، وهم يقولون بين سائر اليهود: إن العزيز هو ابن الله تعالى الله عن ذلك. وكانوا بجمهة اليمن" أبو محمد علي ابن أحمد المعروف بابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٨٢ .

٥ قال ابن حزم : "والعنانية وهم أصحاب عانان الداودي اليهودي، وتسميهم اليهود القرائين والمين، وقولهم إحم لا يتعدون شرائع التوراة، وما جاء في كتب الأنبياء عليهم السلام، ويتبرؤن من قول الأحبار، ويكذبونهم، وهذه الفرقة بالعراق ومصر والشام، وهم من الأندلس بطليطلة وطلبيرة" أبو محمد علي ابن أحمد المعروف بابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٨٢ .

٦ قال ابن حزم : "وهم الأشعنية، وهم القائلون بأقوال الأحبار ومذاهبهم وهم جمهور اليهود". أبو محمد علي ابن أحمد المعروف بابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٨٢ .

٧ قال ابن حزم : "والعيسوية: وهم أصحاب أبي عيسى الأصبهاني، رجل من اليهود كان بأصبهان وبلغني أن اسمه كان محمد بن عيسى". أبو محمد علي ابن أحمد المعروف بابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٨٢ .

واليسع، والياس، وعاموص، وحبقوق، وزكريا، وإرميا وغيرهم، ولا يقرون بالبعث ألبتة" (١).

وكل فرق اليهود لا يقرون بنبوّة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلا العيسوية منهم قال ابن حزم: "وهم يقولون بنبوّة عيسى بن مريم، ومحمد صلى الله عليه وسلم، ويقولون: إن عيسى بعثه الله عز وجل إلى بني إسرائيل على ما جاء في الإنجيل، وأنه أحد أنبياء بني إسرائيل. ويقولون إن محمداً صلى الله عليه وسلم نبي أرسله الله تعالى بشرائع القرآن إلى بني إسماعيل عليهم السلام، وإلى سائر العرب، كما كان أيوب نبياً في بني عيص، وكما كان بلعام نبياً في بني مؤاب بإقرار من جميع فرق اليهود" (٢).

ثم ذكر ابن حزم أن اليهود انقسموا إلى قسمين: قسم أبطل النسخ ولم يجعلوه ممكناً. والقسم الثاني أجازوه، إلا أنهم قالوا لم يقع.

ثم رد ابن حزم على القسم الذي أبطل النسخ اليهود بردود وافية، ذكرناها عندما تكلمنا على حجج المنكرين بما يغني عن إعادته ههنا، فليرجع إليه في الحجة الثالثة من حجج المنكرين للنبوات (٣).

ثم قال: "وأما الطائفة التي أجازت النسخ إلا أنها أخبرت أنه لم يكن فإنه يقال لهم وبالله تعالى التوفيق بأي شيء علمتم صحة نبوة موسى عليه السلام، ووجوب طاعته؟ فلا سبيل إلى أن يأتوا بشيء غير أعلامه وبراهينه، وأعلامه الظاهرة" (٤).

١ أبو محمد علي ابن أحمد المعروف بابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٧٧ ، ١٧٨ .

٢ أبو محمد علي ابن أحمد المعروف بابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٧٩ .

٣ انظر ص ٤٦ - ٤٨ .

٤ أبو محمد علي ابن أحمد المعروف بابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٨٢ .

ثم رد ابن حزم على الطائفة التي أجازت النسخ من اليهود ولكنها قالت لم يقع، وبالتالي أنكرت نبوة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام بأنهم إن صدقوا بنبوة موسى من أجل تصديقنا نحن بها، فالواجب عليهم أن يصدقوا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم من أجل تصديقنا نحن بها، وإلا فقد تناقضوا. وإن صدقوا بنبوة موسى عليه السلام لما أظهر من البرهان فقط فالجواب عليهم من وجوه:

الوجه الأول: كما آمن اليهود بنبوة موسى عليه الصلاة والسلام لظهور المعجزات الدالة على نبوته، وجب عليهم الإيمان بنبوة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ولا فرق^(١).

الوجه الثاني: كما كذب اليهود بنبوة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام فقد كذبت بعض الملل كالمجوس والمانوية بنبوة موسى عليه الصلاة والسلام^(٢). فإذا لا فرق بين اليهود في تصديقهم بعض من ظهرت عليه المعجزات وتكذيبهم بعضهم؟ وبين من صدق من كذبوا، وكذب من صدقوا، بل السامرية من اليهود ينكرون نبوة كل نبي بعد موسى عليه السلام، فلا سبيل إلى الفرق، ولا إلى الطعن في النقل^(٣).

وأقول : كان الواجب على اليهود ألا يفرقوا بين الأنبياء الذين أيدهم الله بالمعجزات، حتى لا يقعوا في الكفر الذي وقع فيه غيرهم من الملل التي آمنتم ببعض الأنبياء وكفرت ببعض.

^١ انظر أبو محمد علي ابن أحمد المعروف بابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٨٢ ، ١٨٣ .

^٢ انظر أبو محمد علي ابن أحمد المعروف بابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٨٢ ، ١٨٣ .

^٣ انظر أبو محمد علي ابن أحمد المعروف بابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٨٢ ، ١٩٩٠ .

الوجه الثالث: وجود صفة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام في التوراة. أما التوراة التي ليس صفة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فهي محرفة مبدلة^(١).

أقول: وبنفس الوجوه الثلاثة السابقة يكون الرد على بقية الملل التي أنكرت بعض الأنبياء.

ويمكن أن يزداد وجهاً رابعاً: وهو أن النقل إلى محمد صلى الله عليه وسلم في معجزاته أقرب عهداً، وأظهر صحة، وأكثر عدد ناقلين. ولا فرق ولا مخلص لهم من هذا أصلاً، لأن الكل نقل، بل نقلنا أفشى وأظهر وأقوى انتشاراً^(٢).

مع التأكيد على تحريف كتبهم، بدليل الاختلاف بين أناجيل النصارى فيما بينها، واختلاف توراة السامرية عن التوراة التي بأيدي سائر اليهود^(٣)؛ ولذلك نجد التناقض بين الأناجيل وكذلك في التوراة. بل ويوجد الكذب الظاهر في كتب المجوس التي لا يصح الإيمان عندهم إلا بها، بل هم معترفون ومقرون بأن كتابهم الذي فيه دينهم أحرقه الإسكندر^(٤)!

ويقال في بقية الأديان ما قيل في دين اليهود والنصارى والمجوس، فقد وقع التحريف فيها كلها إلا دين الإسلام فقد تكفل الله بحفظه، قال تعالى: {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون}^(٥).

^١ الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٨٢ .

^٢ ذكره ابن حزم في معرض رده الرد على الصابئين والمجوس انظر ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٩٩ .

^٣ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٧٧ .

^٤ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٩٩ ، ٢٠٠ ، وما بعدها .

^٥ سورة الحجر الآية ٩ .

فثبت بذلك أن كل الأديان غير دين الإسلام محرفة وباطلة. ولابن حزم جهود واضحة في بيان التناقضات الواقعة في التوراة والإنجيل^(١) . بل يعتبر هو أول من أسس علم مقارنة الأديان^(٢).

المبحث الثالث: ذكر ابن حزم لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم

الكلام على إثبات النبوات عموماً بما فيها نبوة محمد صلى الله عليه وسلم مر علينا في المبحث الأول من هذا الفصل^(٣)، وكذلك الرد على من أثبت النبوات ولكنه أنكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم على وجه الخصوص تعرضنا له في نهاية المبحث الثاني من هذا الفصل^(٤). فلم يبق إلا الكلام على معجزاته وعآياته، وأولها القرآن، فهو المعجزة الخالدة التي لا تدل فقط على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وإنما كذلك تدل على نبوة بقية الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

المطلب الأول : ذكر ابن حزم لمعجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

ذكر بن حزم في كتابه الفصل: أن الكواف^(٥) نقلت عن النبي صلى الله عليه وسلم جملة من المعجزات:ـ

١ . أول معجزات النبي صلى الله عليه وسلم القرآن.

^١ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٩٩ ، ٢٠٠ ، وقد عقد فصلاً في كتابه الفصل في بيان هذه التناقضات ص ٢٠١ وما بعدها.

^٢ أحمد بن ناصر بن محمد آل حمد : ابن حزم وموقفه من الإلهيات ، رسالة دكتوراة في العقيدة الإسلامية ، جامعة الملك عبد العزيز ، ١٩٧٩ م ، ص ٦٢ .

^٣ انظر ص ٣٣ - ٤٠ .

^٤ انظر ص ٤٧ - ٥٠ .

^٥ هم الجمع من الناس المتصفون بالعدالة.

وقد تكلم الإمام ابن حزم عن القرآن كلاماً كثيراً بديعاً، رأيت أن أفردّه بمطلب هو المطلب القادم إن شاء الله تعالى.

ومن معجزات النبي صلى الله عليه وسلم:

٢ . أنه صلى الله عليه وسلم سقى العسكر في (تبوك) وهم ألوف كثيرة من قدح صغير نبع فيه الماء من بين أصابعه عليه السلام^(١).

أقول : ورد في السنة عددٌ من الأحاديث الكثيرة التي فيها ذكر نبع الماء من بين أصابع نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، منها ما أشار إليه الإمام ابن حزم : وهو سقى النبي صلى الله عليه وسلم عسكر المسلمين في غزوة تبوك، فقد ورد ذلك في صحيح مسلم عن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: «خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- عَامَ غَزْوَةِ تَبُوكَ فَكَانَ يَجْمَعُ الصَّلَاةَ فَصَلَّى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ جَمِيعًا وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ جَمِيعًا، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمًا آخَرَ الصَّلَاةَ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ جَمِيعًا ، ثُمَّ دَخَلَ، ثُمَّ خَرَجَ بَعْدَ ذَلِكَ فَصَلَّى الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ جَمِيعًا، ثُمَّ قَالَ: « إِنَّكُمْ سَتَأْتُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَيْنَ تَبُوكَ وَإِنَّكُمْ لَنْ تَأْتَوْهَا حَتَّى يُضْحِيَ النَّهَارُ فَمَنْ جَاءَهَا مِنْكُمْ فَلَا يَمَسَّ مِنْ مَائِهَا شَيْئًا حَتَّى آتَى ». فَجِئْنَاهَا وَقَدْ سَبَقَنَا إِلَيْهَا رَجُلَانِ وَالْعَيْنُ مِثْلُ الشَّرَاكِ تَبِضُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاءٍ - قَالَ - فَسَأَلَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « هَلْ مَسَسْتُمَا مِنْ مَائِهَا شَيْئًا ». قَالَا نَعَمْ. فَسَبَّهُمَا النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- وَقَالَ لَهُمَا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ - قَالَ : ثُمَّ غَرَفُوا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْعَيْنِ قَلِيلًا قَلِيلًا حَتَّى اجْتَمَعَ فِي شَيْءٍ ، قَالَ: وَغَسَلَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فِيهِ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ ثُمَّ أَعَادَهُ فِيهَا فَجَرَتِ الْعَيْنُ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ أَوْ قَالَ

^١ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٨٥ .

عَزِيرٍ - شَكَ أَبُو عَلِيٍّ أَيُّهُمَا قَالَ - حَتَّى اسْتَقَى النَّاسُ ثُمَّ قَالَ: «يُوشِكُ يَا مُعَاذُ أَنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ أَنْ تَرَى مَا هَا هُنَا قَدْ مَلِيَ جَنَانًا». (١).

ولا شك أن خروج الماء مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ نَبِينَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْلَغُ فِي الْمُعْجَزَةِ مِنْ نَبْعِ الْمَاءِ الَّذِي حَصَلَ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْحَجَرِ، وَإِنْ كَانَ كَلَا الْأَمْرَيْنِ مُعْجَزًا. وقد ذكر ابن حجر في الفتح: أن ابن عَبْدَ الْبَرِّ نَقَلَ عَنِ الْمُزَنِّي أَنَّهُ قَالَ: "نَبْعُ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْلَغُ فِي الْمُعْجَزَةِ مِنْ نَبْعِ الْمَاءِ مِنَ الْحَجَرِ حَيْثُ ضَرَبَهُ مُوسَى بِالْعَصَا فَتَجَرَّتْ مِنْهُ الْمِيَاهُ، لِأَنَّ خُرُوجَ الْمَاءِ مِنَ الْحِجَارَةِ مَعْهُودٌ، بِخِلَافِ خُرُوجِ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ اللَّحْمِ وَالْدَّمِ" (٢). انْتَهَى.

٣. وفعل أيضا مثل ذلك بالحديبية، فنبع الماء من بين أصابعه الشريفة صلى الله عليه وسلم (٣).

وهذه إشارة من الإمام ابن حزم رحمه الله تعالى إلى الحديث الصحيح عن جابر قال: "عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة، فتوضأ منها ثم أقبل الناس نحوه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما لكم؟ قالوا يا رسول الله: ليس عندنا ماء نتوضأ به ولا نشرب إلا ما في ركوتك، قال: فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الركوة، فجعل الماء يفيض من بين أصابعه كأمثال العيون، قال: فشربنا وتوضأنا،

١ (مسلم)، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم، ج ٤، ص ١٧٨٤، (٧٠٦).

٢ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي: فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة - بيروت، تحقيق: محب الدين الخطيب، ج ٦، ص ٥٨٥.

٣ ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١، ص ١٨٥.

فقلت لجابر: كم كنتم يومئذ؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة" (١).

٣ . وأنه أطعم عليه السلام أهل الخندق في منزل أبي طلحة حتى شبعوا (٢).

ففي حديث أنس أنه قال : "قال أبو طلحة لأم سليم: قد سمعت صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا أعرف فيه الجوع فهل عندك من شيء؟ فقالت نعم. فأخرجت أقراصا من شعير، ثم أخذت خمارا لها فلفت الخبز ببعضه، ثم دسته تحت ثوبي وردتني ببعضه، ثم أرسلتني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: فذهبت به فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في المسجد ومعه الناس، فقامت عليهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرسلك أبو طلحة؟ قال: فقلت نعم، فقال: أأطعم؟ فقلت: نعم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن معه: قوموا، قال: فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته، فقال أبو طلحة يا أم سليم: قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وليس عندنا ما نطعمهم، فقالت: الله ورسوله أعلم، قال: فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم معه حتى دخلا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هلمي ما عندك يا أم سليم، فأتت بذلك الخبز، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففت وعصرت عليه أم سليم عكة لها، فأدمته، ثم قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يقول، ثم قال: ائذن لعشرة، فأذن لهم، فأكلوا

١ (البخاري) محمد بن إسماعيل: الجامع الصحيح، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، ط ٣، ١٤٠٧ / ١٩٨٧، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية وقول الله تعالى: لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة، ج ٤، ص ١٥٢٦، (٣٩٢١).

٢ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٨٥ .

حتى شبعوا ثم خرجوا ،ثم قال: ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم قال: ائذن لعشرة حتى أكل القوم كلهم وشبعوا، والقوم سبعون رجلا أو ثمانون " (١). رواه مسلم.

٣ . وفي منزل جابر أطعم صلى الله عليه وسلم أهل الخندق حتى شبعوا أيضاً (٢).

فعن جابر رضي الله عنه قال: " لما حفر الخندق، رأيت بالنبى صلى الله عليه وسلم خمصا شديدا، فانكفأت إلى امرأتي، فقلت: هل عندك شيء؟ فإني رأيت برسول الله صلى الله عليه وسلم خمصا شديدا، فأخرجت إلي جرابا فيه صاع من شعير، ولنا بهيمة داجن فذبحتها، وطحنت الشعير، ففرغت إلى فراغي، وقطعتها في برمتها، ثم وليت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت: لا تقضحني برسول الله صلى الله عليه وسلم وبمن معه، فجئته فساررتة، فقلت يا رسول الله: ذبحنا بهيمة لنا، وطحنا صاعا من شعير كان عندنا، فتعال أنت ونفر معك، فصاح النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا أهل الخندق إن جابرا قد صنع سورا فحي هلا بكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تنزلن برمتكم، ولا تخبزن عجينكم حتى أجيء، فجئت وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقدم الناس، حتى جئت امرأتي، فقالت: بك وبك، فقلت: قد فعلت الذي قلت، فأخرجت له عجينا فبصق فيه وبارك، ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك، ثم قال ادع خابزة فلتخبز معي، واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها، وهم ألف، فأقسم بالله لقد

^١ (مسلم) مسلم بن الحجاج : صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الأشربة، باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك ويتحققه تحقفا تاما واستحباب الاجتماع على الطعام، ج ٣/ص ١٦١٢، (٢٠٤٠).

^٢ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١، ص ١٨٥ .

أكلوا حتى تركوه وانحرفوا، وإن برمتنا لتغط كما هي، وإن عجيننا ليخبز كما هو" (١).

٤ . ورمى (هوازن) (٢) وقد اجتمعت لحربه صلى الله عليه وسلم في جيش، فعميت عيون جميعهم بتراب يده (٣)، وفيها أنزل الله تعالى { وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى } (٤).

روى مسلم في صحيحه عن إياس بن سلمة عن أبيه قال: "غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنيناً، فلما واجهنا العدو تقدمت فأعلو ثنية، فاستقبلني رجل من العدو، فأرميه بسهم، فتواري عني فما دريت ما صنع، ونظرت إلى القوم فإذا هم قد طلوعوا من ثنية أخرى، فالتقوا هم وصحابة النبي صلى الله عليه وسلم، فولى صحابة النبي صلى الله عليه وسلم، وأرجع منهزماً وعلي بردتان، متزراً بإحدهما مرتدياً بالأخرى، فاستطلق إزاري فجمعتهم جميعاً، ومررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم منهزماً وهو على بغلته الشهباء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد رأى بن الأكوع فرعاً، فلما غشوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عن البغلة، ثم قبض قبضة من تراب من الأرض، ثم استقبل به وجوههم، فقال: شأهت الوجوه، فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينيه تراباً بتلك القبضة، فولوا

١ (البخاري) محمد بن إسماعيل: الجامع الصحيح، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، ج ٤، ص ١٥٠٥، (٣٨٧٦).

٢ إحدى قبائل العرب، وقد اجتمعت لحرب الرسول صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة في غزوة حنين، حيث انضمت إليها قبائل ثقيف، وجشم، وناس من بني هلال، وانتصروا في بادئ الأمر على المسلمين، لكن النصر في نهاية المعركة كان للمؤمنين.

انظر: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء: البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ج ٣، ص ٣٣٠.

٣ ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١، ص ١٨٥.

٤ سورة الأنفال الآية ١٧

مدبرين، فهزمهم الله عز وجل، وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم غنائمهم بين المسلمين^١.

٥ . وشق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم القمر عندما سأله قومه آية^(٢)، فأنزل الله تعالى في ذلك: {اقتربت الساعة وانشق القمر. وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر. وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر. ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر^(٣)}.^(٤)

٦ . وحنين الجذع الذي حن لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فقد كان صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة إلى ذلك الجذع، فلما انتقل ليخطب صلى الله عليه وسلم على منبره، حن الجذع إليه حتى سمعه كل من حضره من الصحابة رضوان الله عليهم^(٥).

روى البخاري في صحيحه قال: " حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ أَيْمَنَ قَالَ سَمِعْتُ أَبِي عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُومُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَى شَجَرَةٍ أَوْ نَخْلَةٍ ، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ - أَوْ رَجُلٌ - يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا نَجْعَلُ لَكَ مَنْبَرًا قَالَ « إِنَّ شَيْئًا » . فَجَعَلُوا لَهُ مَنْبَرًا ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ دُفِعَ إِلَى الْمَنْبَرِ ، فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ صِيَاحَ الصَّبِيِّ ، ثُمَّ نَزَلَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَصَمَّهُ إِلَيْهِ يَنْ

^١ (مسلم) مسلم بن الحجاج : صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين، ج ٣، ص ١٤٠٢ .
(١٧٧٧) .

^٢ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٨٥ .

^٣ سورة القمر ١ . ٤

^٤ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٨٥ .

أَنِينَ الصَّبِيِّ ، الَّذِي يُسَكِّنُ ، قَالَ « كَانَتْ تَبْكِي عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنْ الذِّكْرِ عِنْدَهَا » (١).

٧ . وصرف اليهود عن تمني الموت، بالرغم من أن النبي صلى الله عليه وسلم تحداهم بذلك، حتى وصف الإمام ابن حزم ذلك بأنه من أبهر معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم .

قال ابن حزم رحمه الله : "ومن أبهر ذلك وأعظمه قوله لليهود الذين كانوا معه في وقته وهم زيادة على ألف بلا شك، ولعلمهم كانوا ألّوا وهم بنو قريظة، وبنو النضير، وبنو إهذل، وبنو قينقاع، أن يتمنوا الموت إن كانوا صادقين في تكذيبهم نبوته، وأعلمهم أنهم لا يستطيعون ذلك أصلاً، فعجزوا عن ذلك أي عن تمني الموت، وحيل بينهم وبين النطق بذلك، وهذه قصة منصوصة في سورة الجمعة" (٢).

قال: "وقد كان أسهل الأمور عليهم أن يكذبوا بأن يتمنوا الموت لو استطاعوا، وهم يسمعونهم يقول: [فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم] (٣)" (٤).

قال ابن حزم رحمه الله بعد أن ذكر المعجزات السابقة : " وهذا أمر لا يدفعه إلا وقاح جاهل مكابر للعيان، لأن القرون والأعصار نقلت هذه الآيات جيلا جيلا يخاطبون بها. فكل أذن وأقر، ولم يمكن أحد دفعه" (١).

١ (البخاري) محمد بن إسماعيل: الجامع الصحيح، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ج ٣، ص ١٣١٤، (٣٣٩١).

٢ ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١، ص ١٨٥، ١٨٦.

٣ سورة الجمعة ٦-٧.

٤ ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١، ص ١٨٦.

ومعجزاته صلى الله عليه وسلم كثيرة، وما ذكره بن حزم منها فإنما هو على سبيل المثال لا الحصر. وقد عد ابن حزم سبع وثلاثين من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم وآياته وأعلام رسالته في كتاب له سماه جوامع السيرة، فقد عقد فيه فصلاً سماه أعلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: إنه أتى فيه بالمتواتر فقط من أعلام رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٢).

وقد ألفت كتب كثيرة تتكلم عن معجزاته وآياته وأعلام رسالته ودلائل نبوته مثل أعلام النبوة للماوردي، ودلائل النبوة للبيهقي، وقبله دلائل النبوة للشيخ أبي نعيم الأصبهاني، وقبله دلائل النبوة لأبي الشيخ الأصبهاني ولأبي القاسم الطبراني، وقبلهما دلائل النبوة للإمام الحافظ أبي زرعة الرازي، والشيخ المصنف أبي بكر عبد الله بن أبي الدنيا، وللمصنف الحافظ الإمام أبي إسحاق إبراهيم الحربي، وأبي بكر جعفر الفريابي، وما صنّفه الشيخ العالم أبو الفرج ابن الجوزي في كتابه المسمى بالوفا في فضائل المصطفى، وما صنّفه الحافظ أبو عبد الله المقدسي من دلائل النبوة و غيرهم^(٣).

والمقصود أن في تلك الكتب والمصنفات الكثير من الأحاديث المتضمنة لآيات نبوته وبراهين رسالته.

^١ ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١، ص ١٨٦.

^٢ علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، الأندلسي، الظاهري: جوامع السيرة، تحقيق إحسان عباس، دار المعارف - مصر، ط ١٩٠٠م، انظر ص ٧.

^٣ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي سيد صبح المدني، مطبعة المدني - مصر، ج ٦، ص ٣٦١-٣٦٣.

وقد ذكر ابن حزم القرآن (١) ضمن معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم إلا
 أنني رأيت أفراد هذه المعجزة والتي هي كبرى معجزاته . صلى الله عليه وسلم
 . بمطلب فإليك به.

المطلب الثاني: معجزة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الخالدة (القرآن).

^١ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٨٦ وما بعدها . وانظر أيضا علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، الأندلسي،
 الظاهري : جوامع السيرة ، ص ٧٠.

من المعلوم وكما سبق أن الله أيد الرسل والأنبياء بمعجزات دلت على صدقهم وهذا هو المنطقي، إذ كيف يرسل الله رسولاً أو نبياً، ثم لا يؤيده بمعجزة أو معجزات تدل على أنه رسول أو نبي من عند الله. بل لابد من تلك المعجزات والآيات التي تدل على نبوته، ليكون نتيجة ذلك أن ينصره قومه، ويتبعوا الوحي الذي يأتي به من عند ربه وربهم . وقد تنوعت معجزات الرسل، فبعضها حسي، وقد انتهى بموت الرسول أو النبي. وبعضها كتب سماوية، وكلها نسخت بالقرآن، الذي هو خاتمتها. بل كلها حرفت، حاشا القرآن الذي تكفل الله بحفظه، كما أنزله غصاً طرياً، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، حتى يكون شاهداً بنبوة ورسالة نبينا ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، بل وبقية الأنبياء والمرسلين.

وقد ذكر بن حزم معجزة نبينا الكبرى وهي القرآن قائلاً: "ودعا عليه السلام من حين مبعثه العرب كلهم - على فصاحة ألسنتهم، وكثرة استعمالهم لأنواع البلاغة من الإطالة والإيجاز، والتصرف في أفانين البلاغة، والألفاظ المركبة على وجوه المعاني - إلى أن يأتوا بمثل هذا القرآن ثم ردهم إلى سورة فعجزوا كلهم عن ذلك" (١).

ووضح أنه ما من أحد يتكلف معارضته إلا افتضح وسقط، كما حدث لمسيلمة بن حبيب الحنفي . وأنه من المعلوم أن كل من أراد أن يعارض القرآن لم يمنع من المعارضة ، وأن من قال : ستريت معارضة القرآن فقد كذب^٢؛ لأنه : "ما قال قط أحد مؤمن ولا كافر عدو لهما ولا ولي: إن أحداً

^١ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٨٦ .

^٢ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ، ١٨٦ ، ١٨٩ .

منهما أجبر أحدا على الإقرار بآيات محمد صلى الله عليه وسلم، ولا على ستر شيء عورض به، ولا قدر أن يقول هذا أيضا يهودي ولا نصراني" (١).

و أكد ابن حزم عجز العرب ومن تلاهم منذ بزوغ شمس الإسلام وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها عن الإتيان بمثل القرآن أو بسورة من مثله. وهذا واضح للعيان لا ينكره أحد مؤمن أو كافر (٢).

بل قد توفرت للعرب كل الأسباب للمعارضة، فألسنتهم فصيحة، والنبي صلى الله عليه وسلم أقام بين أظهرهم ثلاثة وعشرين عاما، وهو طوال هذه المدة يتحداهم أن يأتوا ولو بسورة واحدة من مثل سور القرآن، فلم يستطيعوا، وأنى لهم، بل لجأوا إلى التفكير في قتله، فحاولوا قتله أثناء هجرته كما هو معلوم كل ذلك لأن القرآن أعجزهم فما استطاعوا أن يأتوا ولو بسورة من مثله.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو : ما هو وجه الإعجاز في القرآن؟

يرى ابن حزم أن وجه الإعجاز ليس هو لكون القرآن في أعلى طبقات البلاغة . لأن القرآن عنده ليس من نوع بلاغة الناس أصلاً؛ لأن فيه الأقسام التي في أوائل السور والحروف المقطعة التي لا يعرف أحد معناها، وليس هذا من نوع بلاغة الناس المعهودة . ولكن الإعجاز في ذلك إنما هو أن الله عز وجل حال بين العباد وبين أن يأتوا بمثله، ورفع عنهم القوة في ذلك جملة، فأضربوا عن المعارضة (٣).

١ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٨٩ .

٢ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٨٦ .

٣ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٨٦ ، ١٨٧ .

وكلامه في وجه إعجاز القرآن نؤيده فيه من جهة، ونخالفه فيه من جهة أخرى.

أما ما نؤيده فيه فهو: أنه أثبت أن للقرآن بلاغة، ولكنها ليس من جنس بلاغة البشر، وهذا صحيح لأنه كلام الله، والفرق بين كلام الخالق وكلام المخلوقين كالفرق بين ذاته وذواتهم.

وأما خلافنا معه فهو: أنه جزم بأن وجه الإعجاز في القرآن فقط هو أن الله عز وجل حال بين العباد وبين أن يأتوا بمثله، ورفع عنهم القوة في ذلك جملة، فأضربوا عن المعارضة، وهذا الرأي نخالفه لسببين:

السبب الأول: وجوه الإعجاز في القرآن كثيرة، وقد حصرها ابن حزم رحمه الله في وجه واحد.

السبب الثاني: قوله هذا لا يصلح إلا على سبيل التقدير والتنزيل^(١)، لإفحام الخصم، وابن حزم لا يقوله على سبيل التقدير والتنزيل، بل لا يرى وجهاً للإعجاز غير هذا الوجه، فقول ابن حزم هذا هو قول بالصرفة، وهو أضعف الأقوال^(٢) في وجوه إعجاز القرآن.^(٣)

^١ وهو أنه إذا قدر أن هذا الكلام . أي القرآن . يقدر الناس على الإتيان بمثله فامتناعهم جميعهم عن هذه المعارضة مع قيام الدواعي العظيمة إلى المعارضة من أبلغ الآيات الخارقة للعادات. انظر أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ج ٥ ، ص ٤٢٩ .

^٢ انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ج ٥ ، ص ٤٢٩ .

^٣ قال في مقدمة التحرير و التنوير : "وقد اختلف العلماء في تعليل عجزهم عن ذلك فذهبت طائفة قليلة إلى تعليله بأن الله صرفهم عن معارضة القرآن فسلبهم المقدرة أو سلبهم الداعي، لتقوم الحجة عليهم بمرأى ومسمع من جميع العرب. ويعرف هذا القول بالصرفة كما في المواقف للعضد والمقاصد للتفتازي ولعلها بفتح الصاد وسكون الراء وهي مرة من الصرف وصيغ بصيغة المرة للإشارة إلى أنها صرف خاص فصارت كالعلم بالغلبة ولم ينسبوا هذا القول إلا إلى الأشعري فيما حكاه أبو الفضل عياض في الشفاء وإلى النظام والشريف المرتضى وأبي إسحاق الاسفرائيني فيما حكاه عنهم عضد الدين في المواقف، وهو قول ابن حزم صرح به في كتاب الفصل ص ٧ جز ٣ ص ١٨٤ جز وقد عزا صاحب المقاصد في شرحه إلى كثير من المعتزلة". أ.هـ كلامه. انظر محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، مؤسسة التأريخ العربي ، بيروت. لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م، ج ١ ، ص ١٠١ . وانظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ج ٥ ، ص ٤٢٩ .

فما هي الصرفة

الصرفة معناها: أن الله صرف العباد عن معارضة القرآن فمنهم من قال إن الله سلبهم القدرة على المعارضة، بمعنى أنهم صرفوا على القدرة عليه، ولو تعرضوا له لعجزوا عنه . ومنهم من قال بل كان مقدوراً لهم لكن الله سلبهم الداعي، بمعنى أنهم صرفوا عن التعرض له مع كونه في مقدورهم، ولو تعرضوا له لجاز أن يقدروا عليه^(١).

والقول بالصرفه متفاوت للقائلين بها، وذلك بحسب تعظيمهم لكتاب الله، وابن حزم وإن كان من القائلين بها إلا أنه من أكثر الناس تعظيماً لكتاب الله عز وجل؛ لذلك فهو لم يقل بأن القرآن غير معجز في نفسه . كما قال بذلك بعض من قال بالصرفة (كالنظام)^(٢) . بل عنده كل آية من القرآن معجزة كما سيأتي إن شاء الله عز وجل^(٣). وكذلك لم يقل بأن التحدي بالقرآن انتهى بانتهاء العرب الذين تحداهم النبي صلى الله عليه وسلم . كما قال بذلك بعض من قال بالصرفة . بل التحدي عنده متماد إلى يوم القيامة^(٤)

^١ انظر محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير ، مؤسسة التأريخ العربي ج ١ ، ص ١٠١ . وانظر أبو الحسن علي بن محمد الماوردي: أعلام النبوة، ص ٩٥ . وانظر جلال الدين عبد الرحمن السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق: سعيد المندوب ، دار الفكر - لبنان ، ط ١ ، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م ، ج ٢ ، ص ٣١٤ .

^٢ النظام هو إبراهيم بن سيار بن هاني النظام. أحد أهل الكلام والنظر وهو شيخ المعتزلة. تكلم في القدر، وانفرد بمسائل، ولم يكن النظام ممن نفعه العلم والفهم، وقد كفره جماعة. وهو شيخ الجاحظ. له عدة تصانيف منها "النكت" وكتاب "الجواهر والاعراض"، وكتاب "حركات أهل الجنة"، وكتاب "الوعيد"، وكتاب "النبوة". توفي سنة بضع وعشرون ومئتين للهجرة . انظر الإمام الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٠ ص ٥٤١ ، ٥٤٢ .

^٣ انظر هذا البحث ص ٨٧ - ٩٢ .

^٤ انظر هذا البحث ص ٨٧ - ٩٢ .

كما سيأتي أيضاً بإذن الله. وكذلك لم يقل بأن القرآن كان مقدوراً لهم، لكن عاقهم أمر خارجي، كما صرح بذلك النظام^(١).

قال في الإتيان في علوم القرآن: "ثم زعم النظام أن إعجازه بالصرفة أي أن الله صرف العرب عن معارضته وسلب عقولهم وكان مقدوراً لهم لكن عاقهم أمر خارجي فصار كسائر المعجزات.

وهذا قول فاسد بدليل [قل لئن اجتمعت الإنس والجن]^(٢) الآية فإنه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم ولو سلبوا القدرة لم يبق لهم فائدة لاجتماعهم"^(٣).

ثم بدأ ينقد القول بالصرفة من وجوه:

الوجه الأول: أن الإجماع منعقد على إضافة الإعجاز إلى القرآن فكيف يكون معجزاً وليس فيه صفة إعجاز؟ بل المعجز هو الله تعالى حيث سلبهم القدرة على الإتيان بمثله؟^(٤).

الوجه الثاني : يلزم من القول بالصرفة زوال الإعجاز بزوال زمان التحدي وخلو القرآن من الإعجاز، وفي ذلك خرق لإجماع الأمة أن معجزة الرسول

^١ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي : الإتيان في علوم القرآن ، ج ٢ ، ص ٣١٤ .

^٢ سورة الإسراء الآية ٨٨ .

^٣ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي : الإتيان في علوم القرآن ، تحقيق: سعيد المندوب ، ج ٢ ، ص ٣١٤ .

^٤ انظر جلال الدين عبد الرحمن السيوطي : الإتيان في علوم القرآن ، ج ٢ ، ص ٣١٤ .

العظمى باقية ولا معجزة له باقية سوى القرآن^(١). والعجب أن بعض من قال بالصرفة التزم بهذا اللازم فزعم أن العجز وقع من العرب، وأما من بعدهم ففي قدرته الإتيان بمثل القرآن!^(٢) .

الوجه الثالث: قول القاضي أبو بكر : لو كانت المعارضة ممكنة وإنما منع منها الصرفة، لم يكن الكلام معجزاً وإنما يكون بالمنع معجزاً فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه^(٣).

والعجب ثم العجب أن بعض من قال بالصرفة زعم أن الكل قادرون على الإتيان بمثل هذا القرآن، وإنما تأخروا عنه لعدم العلم بوجه ترتيب لو تعلموه لوصلوا إليه به!، نقل هذا القاضي أبوبكر عن بعض من قال بالصرفة^(٤).

والذي ينبغي أن يعلم أن الصرفة قال بها القليل وضعفها الكثير . والصحيح . كما أشرنا إلى ذلك آنفاً^(٥) . أن الاحتجاج بها إن جاز فعلى سبيل التقدير والتزليل " وهو أنه إذا قدر أن هذا الكلام يقدر الناس على الإتيان بمثله فامتناعهم جميعهم عن هذه المعارضة مع قيام الدواعي العظيمة إلى المعارضة من أبلغ الآيات الخارقة للعادات"^(٦). قاله شيخ الإسلام ابن تيمية وهو كما قال، إذ يستحيل على الخلق الإتيان بمثل هذا القرآن، فكلهم

^١ انظر جلال الدين عبد الرحمن السيوطي : الإتيان في علوم القرآن ، ج ٢ ، ص ٣١٤ .

^٢ نقل هذا القول صاحب الإتيان عن القاضي أبوبكر . انظر جلال الدين عبد الرحمن السيوطي : الإتيان في علوم القرآن ، ج ٢ ، ص ٣١٤ .

^٣ انظر جلال الدين عبد الرحمن السيوطي : الإتيان في علوم القرآن ، ج ٢ ، ص ٣١٥ .

^٤ انظر جلال الدين عبد الرحمن السيوطي : الإتيان في علوم القرآن ، ج ٢ ، ص ٣١٤ ، ٣١٥ .

^٥ انظر ص ٧٢ .

^٦ انظر ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ج ٥ ، ص ٤٢٩ .

عاجزون عن معارضته لا يقدرّون على ذلك، بل يظهر الفرق بين القرآن وبين سائر كلام الخلق لكل من له أدنى تدبر^(١).

قال ابن تيمية: "وكل ما ذكره الناس من الوجوه في إعجاز القرآن هو حجة على إعجازه ولا تناقض في ذلك بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له .

ومن أضعف الأقوال قول من يقول من أهل الكلام إنه معجز بصرف الدواعي مع تمام الموجب لها، أو بسلب القدرة التامة، أو بسلبهم القدرة المعتادة في مثله سلباً عاماً مثل قوله تعالى لذكريا : [آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا]^(٢)

وهو أن الله صرف قلوب الأمم عن معارضته مع قيام المقتضي التام فإن هذا يقال على سبيل التقدير والتنزيل"^(٣).

والقول الصحيح هو: أن الناس يجدون دواعيهم إلى المعارضة حاصلة، وقد حاول بعضهم ذلك، لكنهم يحسون من أنفسهم العجز عن المعارضة ولو كانوا قادرين لعارضوه^(٤)، والسبب في ذلك معلوم، وهو أن الاختلاف بين كلام الله وكلامهم كالفرق بين ذاته وذواتهم.

وهذا يقودنا لبحث مسألة إعجاز القرآن الكريم ومعرفة رأي ابن حزم في ذلك... فنقول..

أفرد ابن حزم في كتابه الفصل فصلاً سماه:

الكلام في إعجاز القرآن

^١ انظر ابن تيمية : نظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ج ٥ ، ص ٤٣٣ .

^٢ سورة مريم الآية ١٧ .

^٣ انظر ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ج ٥ ، ص ٤٢٩ .

^٤ انظر ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ج ٥ ، ص ٤٣١ .

وضح فيه: أن القرآن معجز قد أعجز الله عن مثل نظمه جميع العرب وغيرهم من الإنس والجن، وأن هذا أمر لا ينكره أحد مؤمن ولا كافر، وأن إجماع المسلمين منعقد على ذلك، لكن حصل الاختلاف من أهل الكلام في هذه المسألة على خمسة أنحاء:

فالنحو الأول: هل المعجز الذي تحدى الله الناس بالمجيء بمثله هو القرآن الذي بين أيدينا أم هو الذي لم يزل مع الله تعالى ولم يفارقه قط، ولا نزل إلينا ولا سمعناه؟^(١)

والنحو الثاني: هل الإعجاز متماد إلى يوم القيامة أم قد ارتفع بتمام قيام الحجة بالقرآن في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟^(٢)

والنحو الثالث: ما المعجز من القرآن هل هو ما في نصه من الإنذار بالغيوب فقط، أم يضاف إلى ذلك الإعجاز في نظمه؟^(٣)

والنحو الرابع: ما وجه إعجاز القرآن؟^(٤)

النحو الخامس: ما مقدار المعجز من القرآن؟^(٥)

وعليه فسيكون كلامنا إن شاء الله فيما يلي، هو عرض هذه الأنحاء كما عرضها ابن حزم رحمه الله تعالى، مع التعليق على ما يحتاج التعليق منها.

^١ انظر ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٣، ص ٢٥.

^٢ انظر ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٣، ص ٢٥.

^٣ انظر ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٣، ص ٢٦.

^٤ انظر ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٣، ص ٢٧.

^٥ انظر ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٣، ص ٢٩.

فالنحو الأول: قول رُوي عن الأشعري: وهو أن المعجز الذي تحدى الناس بالمجيء بمثله: هو الذي لم يزل مع الله تعالى ولم يفارقه قط، ولم ينزل إلينا ولم نسمعه^(١) .

وضح ابن حزم رحمه الله تعالى أن هذا الكلام في غاية النقصان والبطلان، وذلك لوجوه:

الوجه الأول: من المحال أن يُكَلَّفَ أحدٌ أن يجيء بمثل لما لم يعرفه قط ولا سمعه.

الوجه الثاني : إذا لم يكن المعجز إلا ذلك . الذي لم يزل مع الله تعالى ولم يفارقه قط . فيلزم من ذلك أن المسموع المتلو عندنا ليس معجزاً بل مقدوراً عليه، وأعلى مثله . وهذا كفر مجرد لا خلاف فيه لأحد فإنه خلاف للقرآن؛ لأن الله تعالى ألزمهم بسورة أو عشر سور منه.

الوجه الثالث : الكلام الذي هو عند الأشعرية هو المعجز، ليس هو سوراً ولا كثيراً بل هو واحد^(٢).

قال ابن حزم بعد أن ذكر ما سلف : "فسقط هذا القول والحمد لله رب العالمين. وله قول^(٣) كقول جميع المسلمين: إن هذا المتلو هو المعجز"^(٤).

والنحو الثاني: هل الإعجاز متماد أم قد ارتفع بتمام قيام الحجة بالقرآن في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

^١ انظر ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٣ ، ص ٢٥ .

^٢ انظر ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٣ ، ص ٢٥ .

^٣ أي الأشعري.

^٤ انظر ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٣ ، ص ٢٥ .

ذكر ابن حزم أن بعض أهل الكلام ذهب إلى أن الحجة قد قامت بعجز جميع العرب عن معارضة القرآن الكريم، ولو عورض الآن لم تبطل بذلك الحجة التي قد صحت، كما أن عصى موسى إذ قامت حجته بانقلابها حية لم يضره ولا أسقط حجته عودها عصا كما كانت، وكذلك خروج يده بيضاء من جيبه ثم عودها كما كانت، وكذلك سائر الآيات^(١).

ثم ذكر قول جمهور أهل الإسلام وهو: أن الإعجاز باق إلى يوم القيامة، والحجة بالقرآن قائمة أبداً كما كانت. وأيده قائلًا: "وهذا هو الحق الذي لا يحل القول بغيره لأنه نص قول الله تعالى إذ : يقول [قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً]"^(٢) "(٣).

وقد رجح ابن حزم رحمه الله تعالى صحة قول الجمهور لسببين:

السبب الأول: أن قوله تعالى: [لا يأتون بمثله] هو لفظ للاستقبال فصح يقيناً أن الإعجاز في القرآن والحجة فيه على التأييد وفي المستأنف أبداً.

قال: "ومن ادعى أن المراد بذلك الماضي فقد كذب لأنه لا يجوز أن تحال اللغة فينقل لفظ المستقبل إلى معنى الماضي إلا بنص آخر جلي وارد بذلك، أو بإجماع متيقن أن المراد به غير ظاهره، أو ضرورة، ولا سبيل في هذه المسألة إلى شيء من هذه الوجوه"^(٤).

^١ انظر ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٣ ، ص ٢٥ ، ٢٦ .

^٢ سورة الإسراء الآية ٨٨ .

^٣ انظر ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٣ ، ص ٢٦١ .

^٤ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٣ ، ص ٢٦ .

السبب الثاني : قوله تعالى: [قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله]. صيغة عموم تشمل كل إنس وجن أبداً إلى يوم القيامة، لا يجوز تخصيص شيء من ذلك أصلاً بغير ضرورة ولا إجماع^(١).

والنحو الثالث: ما المعجز منه أنظمه، مع ما في نصه من الإنذار بالغيوب، أم الثاني فقط؟

نقد ابن حزم من زعم من أهل الكلام أن نظم القرآن ليس معجزاً، بل المعجز فقط هو ما في نصه من الإنذار بالغيوب!.

واستند في نقده إلى قوله تعالى: [فأتوا بسورة من مثله]^(٢)، قال: "فنص تعالى على أنهم لا يأتون بمثل سورة من سوره، وأكثر سوره ليس فيها أخبار بغيب، فكان من جعل المعجز الأخبار الذي فيه بالغيوب، مخالفاً لما نص الله تعالى على أنه معجز من القرآن فسقطت هذه الأقاويل الفاسدة"^(٣).

ولا ريب أن الحق مع ابن حزم فإن كلا الأمرين معجز: نظم القرآن الكريم، وما فيه من الإخبار بالغيوب. وهذا هو قول سائر أهل الإسلام كما صرح بذلك ابن حزم^(٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "لفظه آية، ونظمه آية، وإخباره بالغيوب آية"^(٥).

^١ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٣ ، ص ٢٦ .

^٢ سورة البقرة الآية ٢٣ .

^٣ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٣ ، ص ٢٦ .

^٤ انظر ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٣ ، ص ٢٦ .

^٥ ابن تيمية: النبوات ج ١ ص ٥١٦ .

والنحو الرابع: ما وجه إعجازه؟

قال ابن حزم: "فقلت طائفة: وجه إعجازه كونه في أعلى مراتب البلاغة، وقالت طوائف: إنما وجه إعجازه أن الله منع الخلق من القدرة على معارضته فقط" (١). وقد أيد ابن حزم من قال إن الله منع الخلق من القدرة على معارضته فقط، ورد على الطائفة التي قالت إنما إعجازه لأنه في أعلى درج البلاغة بالرد على حججهم بعد ذكرها على النحو التالي:

الحجة الأولى : شغبوا فقالوا : مما يدل على أن القرآن الكريم في أعلى درجات البلاغة قوله تعالى [ولكم في القصص حياة] (٢) ونحوها.

رد ابن حزم على هذه الحجة فذكر أربعة أوجه للرد هي:

الوجه الأول: هل تقولون كما هو ظاهر قولكم إن المعجز من القرآن الكريم هذه الآيات خاصة زما كان مثلها وأما سائره فلا؟

فإن قالوا: نعم فهذا كفر لا يقوله مسلم، وإن قالوا: جميع القرآن مثل هذه الآيات في الإعجاز، قيل لهم فلم خصصتم بالذكر هذه الآيات دون غيرها؟

والجواب: أن تخصيصهم هذا ما هو إلا إيهام منهم لأهل الجهل: أن من القرآن معجزا وغير معجز! (٣)

الوجه الثاني : ماذا تقولون في قول الله تعالى: [وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا

١ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٣ ، ص ٢٧ .

٢ سورة البقرة الآية ١٧٩ .

٣ انظر بن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٣ ، ص ٢٧ .

داود زبوراً]، أهو معجز على شروطكم في كونه في أعلى درج البلاغة أم ليس معجزاً؟

قال ابن حزم رحمه الله تعالى: " فإن قالوا: ليس معجزاً كفروا. وإن قالوا: أنه معجز صدقوا. وسئلوا هل على شروطكم في أعلى درج البلاغة؟ فإن قالوا: نعم كابروا وكفوا مؤنتهم؛ لأنها أسماء رجال فقط، ليس على شروطهم في البلاغة" (١).

الوجه الثالث : لو كان إعجاز القرآن لأنه في أعلى درج البلاغة، لكان بمنزلة كلام البلغاء كالحسن وسهل بن هارون والجاحظ وشعر امرئ القيس، ومعاذ الله من هذا؛ لأن كل ما يسبق في طبقة لم يؤمن أن يأتي من يماثله ضرورة (٢).

الوجه الرابع : أيضا لو كان إعجاز القرآن الكريم من أنه في أعلى درج البلاغة المعهودة، لوجب أن يكون ذلك للآية، ولما هو أقل من آية، وهذا ينقض قولهم: إن المعجز منه ثلاث آيات لا أقل (٣).

ولم يفت ابن حزم وهو يرد على مخالفه في الرأي في وجه إعجاز القرآن أن يوافقهم فيما يمكن أن يلتقي معهم فيه، وأن يورد اعتراضاتهم مع رده عليها فيما لا يمكن أن يلتقي معهم فيه. فهو يقر بأن القرآن موصوف بأنه في أعلى درج البلاغة بمعنى أن الله قد بلغ به ما أراد، فإن كان المخالف يريد هذا المعنى: فنعم هو في هذا المعنى في الغاية التي لا شيء أبلغ منها،

١ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٣ ، ص ٢٨ .

٢ لنظر ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٣ ، ص ٢٨ .

٣ انظر ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٣ ، ص ٢٨ .

وإن المخالف يريد: هو في أعلى درج البلاغة في كلام المخلوقين فلا؛ لأنه ليس من نوع كلام المخلوقين لا من أعلاه ولا من أدناه ولا من أوسطه.^(١)

وكذلك لم يفت ابن حزم أن يبرهن لما يعتقده، بغرض إقناع المخالف والباحث عن الحقيقة في آن واحد، فهذا هو يسوق البرهان على أن القرآن ليس من نوع كلام المخلوقين، وليس من نوع بلاغتهم:

١ . بقوله: "برهان هذا أن إنسانا لو أدخل في رسالة له أو خطبة أو تأليف أو موعظة حروف الهجاء المقطعة، لكان خارجا عن البلاغة المعهودة جملة بلا شك، فصح أنه ليس من نوع بلاغة الناس أصلاً"^(٢).

٢ . وبقوله: "ونحن نجد في القرآن إدخال معنى بين معنيين ليس منهما، كقوله تعالى { وما ننزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك }"^(٣)، وليس هذا من بلاغة الناس في ورد ولا صدر، ومثل هذا في القرآن كثير، والحمد لله رب العالمين"^(٤).

وما هو أيضاً يسوق البرهان على أن الله تعالى منع الخلق من مثل هذا القرآن، وكساه الإعجاز، وسلبه جميع كلام الخلق، وقد بدأ البرهان بذكر الآيات الدالة على حكاية الله عن أقوال بعض خلقه: كحكايته تعالى عن قوم من أهل النار أنهم يقولون إذا سئلوا عن سبب دخولهم النار: {لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين}^(٥)، و حكايته تعالى عن كافر وهو الوليد ابن

^١ انظر ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٣ ، ص ٢٨ .

^٢ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٣ ، ص ٢٨ .

^٣ سورة مريم الآية ٦٤ .

^٤ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٣ ، ص ٣١ .

^٥ سورة المدثر الآيات ٤٣ ، ٤٧ .

المغيرة أنه قال: {إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر} (١) و حكايته عن آخرين أنهم قالوا: {لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً. أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً} (٢) إلى الآية ٩٣ من سورة الإسراء، قال رحمه الله تعالى بعد أن ساق تلك الآيات: "فكان هذا كله إذ قاله غير الله عز وجل، غير معجز بلا خلاف، إذ لم يقل أحد من أهل الإسلام أن كلام غير الله تعالى معجز، لكن لما قاله الله تعالى وجعله كلاماً له، أصاره معجزاً ومنع من مماثلته، وهذا برهان كاف لا يحتاج إلى غيره والحمد لله" (٣).

ولم يفت ابن حزم أيضاً أن يوضح معنى الصرفة التي يعتقد أنها هي وجه الإعجاز في القرآن الكريم بمثال هو: أن من قال: إن آية النبوة أن الله تعالى يطلقني على المشي في هذه الطريق الواضحة" ثم لا يمشي فيها أحد غيري أبداً أو مدة يسميها، فهذا أعظم ما يكون من الآيات، وأن الكلمة المذكورة أنها متى ذكرت في خبر على أنها ليست قرآناً، فهي غير معجزة، وهذا هو الذي جاء به النص، والذي عجز عنه أهل الأرض مذ أربعمئة عام وأربعين عاماً وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها" (٤).

الحجة الثانية: وقالوا: لو كان الأمر كما يقال: من أن الله تعالى منع من معارضة القرآن الكريم فقط، لوجب أن يكون القرآن أغث ما يمكن أن يكون من الكلام فكانت تكون الحجة بذلك أبلغ.

١ سورة المدثر الآيات ٢٤ ، ٢٥ .

٢ سورة الإسراء الآيات ٩٠ ، ٩١ .

٣ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ج ٣ ، ص ٢٩ .

٤ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ج ٣ ، ص ٣١ .

أقول : هذا القول الذي نقله ابن حزم عن قال بهذه الحجة، فيه الجرأة على الله سبحانه وكتابه، وعدم الأدب معهما؛ ولذلك سارع الإمام ابن حزم إلى استنكاره وذمه قبل الرد عليه قائلاً "فهذا هو الكلام الغث حقاً" (١). ولم يكتف بذلك، بل اختتم الرد على هذه الحجة بزمها قائلاً: "فبطل هذا الغث الفث (٢)" (٣)، وحسنأ فعل، فما ينبغي لمؤمن أن يسمع بمثل هذا الوصف للقرآن ولا يستنكره.

ولقد رد الإمام ابن حزم رحمه الله تعالى على هذه الحجة بوجوه:

الوجه الأول: أنه قول بلا برهان؛ لأنه يمكن أن يعكس عليهم هذا القول بنفسه فيقال: بل لو كان إعجازه لكونه في أعلى درج البلاغة لكان لا حجة فيه؛ لأن هذا يكون في كل من كان في أعلى طبقة! وأما آيات الأنبياء فخارجة عن المعهود فهذا أقوى من شغبهم (٤).

الوجه الثاني: "أنه لا يسأل الله تعالى عما يفعل ولا يقال له لم عجزت بهذا النظم دون غيره؟ ولم أرسلت هذا الرسول دون غيره؟ ولم قلبت عصا موسى حية دون أن تقلبها أسداً؟ وهذا كله حمق ممن جاء به لم يوجب قط عقل، وحسب الآية أن تكون خارجة عن المعهود فقط" (٥).

الوجه الثالث : "أنهم حين طردوا سؤالهم ربهم بهذا السؤال الفاسد لزمهم أن يقولوا: هلا كان هذا الإعجاز في كلام ٍ بجميع اللغات، فيستوي في معرفة

^١ ابن حزم الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٣، ص ٢٧. الغث هو: الحديث الرديء الفاسد، انظر مختار الصحاح ج ١، ص ١٩٦.

^٢ الفث هو: المَثَقَرُ الذي لا يَلْزُقُ بعضه ببعض انظر لسان العرب، ج ٢، ص ١٧٦.

^٣ ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٣، ص ٢٧.

^٤ ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٣، ص ٢٧.

^٥ ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٣، ص ٢٧.

إعجازه العرب والعجم ؟ لأن العجم لا يعرفون إعجاز القرآن إلا بإخبار العرب فقط^(١).

والحق الذي لا مرية فيه أن القرآن كله معجز: " فلفظه آية، ونظمه آية، وإخباره بالغيوب آية، وأمره ونهيه آية، ووعدته ووعدته آية، وجلالته وعظمته وسلطانه على القلوب آية، وإذا ترجم بغير العربي كانت معانيه آية"^(٢).

وكيف لا يكون كذلك وهو كلام الله تعالى؟ أعجز الفصحاء والبلغاء، والفضل ما شهدت به الأعداء، ألم يقل الوليد بن المغيرة . وهو ألد أعداء الإسلام . في وصف القرآن: والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق ، وإنه يعلو ولا يعلى عليه ، وما هو بقول بشر؟.

وبلاغة القرآن واضحة يعلمها كل من له حظ في اللغة العربية: لغة القرآن؛ لذا كان تأثير القرآن عند تلاوته لدى العرب قوي ففي صحيح البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ: { قَرَأَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّجْمَ بِمَكَّةَ ، فَسَجَدَ فِيهَا ، وَسَجَدَ مَنْ كَانَ مَعَهُ غَيْرَ شَيْخٍ ، أَخَذَ كَفًّا مِنْ حَصَى أَوْ مِنْ تُرَابٍ ، فَرَفَعَهُ إِلَى جَبْهَتِهِ ، وَقَالَ : يَكْفِينِي هَذَا ، فَرَأَيْتَهُ بَعْدَ ذَلِكَ قُتِلَ كَافِرًا }^(٣).

وعن عبد الله بن مسعود قال: "قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: اقرأ عليّ، قلت: يا رسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال نعم. فقرأت سورة النساء،

^١ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٣ ، ص ٢٧.

^٢ ابن تيمية: النبوات ج ١ ص ٥١٦.

^٣ (البخاري) محمد بن إسماعيل: الجامع الصحيح، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، كتاب الكسوف، باب ما جاء في سجود القرآن

وستنها، ج ١، ص ٣٦٣، (١٠١٧).

حتى أتيت إلى هذه الآية: {فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا} (١)، قال: حسبك الآن، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان" (٢).

وفي صحيح البخاري قالت عائشة: "ابتنى أبو بكر مسجدا بفناء داره يصلي فيه ويقرأ القرآن، فيتقصف عليه نساء المشركين وأبنائهم يعجبون منه، والنبى صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة" (٣).

وبعد، فإن الإمام ابن حزم لا ينكر بلاغة القرآن الكريم، لكن ينفي كون بلاغة القرآن هي وجه الإعجاز، ويرى أن وجه الإعجاز في القرآن: هو أن الله منع الخلق من القدرة على معارضته فقط؛ لأنه كلامه سبحانه، ويرى كذلك أن بلاغة القرآن ليست من نوع بلاغة الناس أصلاً، ويستدل على ذلك بحروف الهجاء المقطعة في أوائل بعض سور القرآن فهي عنده خارجة عن البلاغة المعهودة عند الناس هذا مجمل اعتقاده في وجه إعجاز القرآن وقد تقدم التعليق على رأيه هذا عندما تكلمنا على الصرفة (٤).

لكن نجمل فنقول:

نحن مع ابن حزم في أن " الكلام يترتب ثلاث مراتب : منشور يدخل في قدرة الخلق، و شعر هو أعلى منه يقدر عليه فريق و يعجز عنه فريق، و

^١ سورة النساء الآية ٤١ .

^٢ (البخاري) محمد بن إسماعيل: الجامع الصحيح، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، كتاب فضائل القرآن، باب قول المقرئ للقارئ حسبك، ج٤، ص١٩٢٥، (٤٧٦٣).

^٣ انظر محمد بن إسماعيل: الجامع الصحيح، ج٢، ص ٨٧٠، كتاب المظالم، باب أفنية الدور والجلوس فيها والجلوس على الصعدات.

^٤ انظر ص ٧٠ فما بعدها .

قرآن هو أعلى من جميعها و أفضل من سائرهما تجاوز رتبة النوعين فخرج عن قدرة الفريقين" (١). وقد تقدم أن الفرق بين كلام الله وبين كلام المخلوقين كالفرق بين ذاته وذواتهم. قال ابن تيمية في الجواب الصحيح: "نفس نظم القرآن وأسلوبه عجيب بديع، ليس من جنس أساليب الكلام المعروفة، ولم يأت أحد بنظير هذا الأسلوب، فإنه ليس من جنس الشعر، ولا الرجز، ولا الخطابة، ولا الرسائل، ولا نظمه نظم شيء من كلام الناس عربهم وعجمهم، ونفس فصاحة القرآن وبلاغته هذا عجيب خارق للعادة، ليس له نظير في كلام جميع الخلق" (٢).

ولسنا مع ابن حزم في ادعائه بأن الله منع الخلق من القدرة على معارضته فقط؛ لأن سلب القدرة على المعارضة يشهد الواقع بخلافه، فقد حاول بعضهم معارضته لكنه أتى بما يضحك الثكلى، كما ذكر ابن حزم نفسه هذا، عندما تكلم عن (مسيلمة) بن حبيب الحنفي (٣).

قال ابن تيمية في الجواب الصحيح "وقد انتدب غير واحد لمعارضته، لكن جاء بكلام فضح به نفسه، وظهر به تحقيق ما أخبر به القرآن من عجز الخلق عن الإتيان بمثله، مثل قرآن مسيلمة الكذاب كقوله: يا ضفدع بنت ضفدعين، نقي كم تنقين، لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين، رأسك في الماء وذنبك في الطين" (٤).

١ أبو الحسن علي بن محمد الماوردي : أعلام النبوة ج ١ ، ص ٩١ .

٢ ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ج ٥ ، ص ٤٣٣ .

٣ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ج ١ ، ص ١٨٧ .

٤ ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ج ٥ ، ص ٤٣٢ .

وقال الماوردي : "و قد تعاطاه من الشعراء ما خرج عن أسلوبه إلى طريقة شعره فقال في قصة الفيل :

(ألا من مهلك الفيل ... و من سار مع الفيل)

(بطير صبه الله ... عليهم من أبابيل)

(رمتهم بجناديل ... ترى من طين سجيل)

(فأضحى القوم في القاع ... كعصف غير مأكول)

فلم يساعده الطبع عليه مع أخذ معانيه و استعمال ألفاظه حتى عاد إلى مطبوع شعره.(١)

قال الإمام ابن حزم قال " وقد روينا عن أنيس أخي أبي ذر الغفاري رضي الله عنهما : أنه سمع القرآن فقال : لقد وضعت هذا الكلام على السنة البلغاء ، وألسنة الشعراء ، فلم أجده يوافق ذلك أو كلاما هذا معناه"(٢).

قال الماوردي: "و حكي عن الوليد بن المغيرة . و كان سيد عشيرته و أفصح قومه . أنه جاء إلى أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم وهو على كفره فقال : اقرؤا علي شيئا من القرآن فقرأوا عليه

فقال : ليس هذا من كلام البشر و ليس بشعر فمضى إليه أبو لهب قال : أفسدت قريشا بهذا القول فارجع عنه فقال : أقول إنه سحر"(٣).

ولولا خوف الإطالة لأتينا بمزيد من الأمثلة التي تؤكد حرصهم على

١ أبو الحسن علي بن محمد الماوردي : أعلام النبوة ج ١ ، ص ٨٠ .

٢ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ، ص ١٨٨ .

٣ أبو الحسن علي بن محمد الماوردي : أعلام النبوة ج ١ ، ص ٨٠ .

معارضة القرآن . مما يؤكد أنهم لم يسلبوا القدرة على المعارضة كما يزعم بذلك ابن حزم وغيره . مع عجزهم عن الإتيان بمثله وأني لهم ذلك وقد قال تعالى : [قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً]^(١).

واختم فأقول: والحق أن البلاغة هي أحد وجوه إعجاز القرآن، وإن كانت ليست هي الوجه الوحيد.

قال ابن تيمية في العقيدة الأصفهانية : "وأما الطرق فكثيرة جدا متنوعة من وجوه وليس كما يظنه بعض الناس إن معجزته من جهة صرف الدواعي عن معارضته، وقول بعضهم: إنه من جهة فصاحته، وقول بعضهم: من جهة إخباره بالغيوب، إلى أمثال ذلك، فإن كلا من الناظرين قد يرى وجهاً من وجه الإعجاز، وقد يريد الحجر، وإن لم ير غيره ذلك الوجه، واستيعاب الوجوه ليس هو مما يتسع له شرح هذه العقيدة"^(٢).

النحو الخامس: ما مقدار المعجز منه؟

قال ابن حزم رحمه الله تعالى: "فقال الأشعرية ومن وافقهم أن المعجز إنما هو مقدار أقل سورة منه . وهو سورة الكوثر . فصاعداً، وإن ما دون ذلك ليس معجزاً، واحتجوا في ذلك بقول الله تعالى: { قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ }"^(٣) قالوا: ولم يتحد تعالى بأقل من ذلك، وذهب سائر أهل الإسلام: إلى أن القرآن كله قليله وكثيره معجز، وهذا هو الحق الذي لا يجوز خلافه"^(٤).

^١ سورة الإسراء ٨٨ .

^٢ ابن تيمية: العقيدة الأصفهانية ج ١ ، ص ٢١٠ . وانظر أيضاً ابن تيمية الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج ٥ ، ص ٤٢٩ .

^٣ سورة يونس الآية ٣٨ .

^٤ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٣ ، ص ٢٩ .

رد ابن حزم على من قال: إن المعجز من القرآن هو مقدار أقل سورة منه فصاعداً

أولاً: لا حجة لهم في قوله تعالى: {قل فأتوا بسورة من مثله} (١)؛ لأنه تعالى لم يقل أن ما دون السورة ليس معجزاً، بل قد قال تعالى: {على أن يأتوا بمثل هذا القرآن} (٢). ولا يختلف إثنان في أن كل شيء من القرآن هو قرآن، وعليه فكل شيء من القرآن معجز (٣).

ثانياً: ماذا تعنون بقولكم: إن المعجز من القرآن مقدار سورة منه مع تمثيلكم لها بسورة الكوثر: أسورة كاملة لا أقل؟ أم مقدار سورة الكوثر في الآيات؟ أم مقدارها في الكلمات؟ أم مقدارها في الحروف؟ ولا سبيل إلى وجه خامس (٤).

فإن قالوا: المعجز سورة تامة لا أقل، لزمهم: أن سورة البقرة حاشا آية واحدة أو كلمة واحدة، من أي موضع منها ليست معجزة، وهكذا كل سورة، وهذا كفر مجرد لا خفاء به (٥).

وإن قالوا: بل مقدارها من الآيات، لزمهم الكثير من الإلزامات منها: أن آية الدين ليست معجزة؛ لأنها ليست ثلاث آيات، ومثل ذلك [ولكم في القصص حياة] (٦) ليس معجزاً، وهذا نقض لقولهم: في أنه في أعلى درج البلاغة (٧).

^١ سورة يونس الآية ٣٨.

^٢ سورة الإسراء ٨٨.

^٣ انظر ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٣، ص ٢٩.

^٤ انظر ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٣، ص ٢٩، ٣٠.

^٥ انظر ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٣، ص ٣٠.

^٦ سورة البقرة الآية ١٧٩.

^٧ انظر ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٣، ص ٣٠.

ومنها: أن [الفجر وليال عشر والشفع والوتر] (١) معجز كآية الكرسي وآيتان إليها؛ لأنها ثلاث آيات وهذا غير قولهم، ومكابرة أيضا أن تكون هذه الكلمات معجزة حاشا كلمة غير معجزة (٢).

ومنها: أن [الضحى، والفجر، والعصر]، هذه الكلمات الثلاث فقط معجزات؛ لأنهن ثلاث آيات. فإن قالوا: هن متفرقات غير متصلات، لزمهم إسقاط الإعجاز عن ألف آية متفرقة، وإمكان المجيء بمثلها (٣).

ومنها: أن كل ثلاث آيات من القرآن غير كلمة غير معجزة (٤).

قال الإمام ابن حزم: "وهذا خروج عن الإسلام وعن المعقول" (٥).

وإن قالوا: بل أكثر في عدد الكلمات أو قالوا: في عدد الحروف لزمهم شيئان مسقطان لقولهم:.

أحدهما: بطل احتجاجهم بقوله تعالى: {بسورة من مثله} (٦)؛ لأنهم جعلوا معجزا ما ليس سورة، ولم يقل تعالى بمقدار سورة فلاح تمويههم.

والثاني: أن قوله تعالى [وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان] (٧) أكثر كلمات وحروفا من سورة الكوثر، فينبغي أن يكون هذا معجزا عندهم، ويكون [ولكم في

١ سورة الفجر الآيات ١ - ٣.

٢ انظر ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٣، ص ٣٠.

٣ انظر ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٣، ص ٣٠.

٤ انظر ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٣، ص ٣٠.

٥ ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٣، ص ٣٠.

٦ سورة يونس الآية ٣٨.

٧ سورة النساء الآية ١٦٣.

القصاص حياة^(١) غير معجز، فإن قالوا: إن هذا غير معجز، تركوا قولهم: في إعجاز مقدار أقل سورة في عدد الكلمات وعدد الحروف، وإن قالوا: بل هو معجز، تركوا قولهم: في أنه في أعلى درج البلاغة^(٢).

ويلزمهم أيضاً: أننا إن أسقطنا من هذه الأسماء الواردة في الآية السابقة اسمين، ومن سورة الكوثر كلمة واحدة فقط، أن لا يكون شيء من ذلك معجزاً، فظهر سقوط كلامهم، وتخليطه، وفساده^(٣).

وأيضاً فإذا كانت الآية من القرآن أو الآيتان غير معجزة، وكانت مقدورا على مثلها، كان القرآن كله مقدوراً على مثله. وهذا كفر^(٤).

فإن قالوا: إذا اجتمعت ثلاث آيات صارت غير مقدور عليها، قيل لهم: هذا غير قولكم إن إعجازه إنما هو من طريق البلاغة؛ لأن طريق البلاغة في الآية كهو في الثلاث ولا فرق^(٥).

ثم شرع ابن حزم رحمه الله تعالى في بيان ما يراه أنه هو الحق، فقال: "والحق من هذا هو ما قاله الله تعالى: [قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله]^(٦) وإن كل كلمة قائمة المعنى نعلم إذا تليت أنها من القرآن، فإنها معجزة لا يقدر أحد على المجيء بمثلها أبداً؛ لأن الله تعالى حال بين الناس وبين ذلك"^(٧).

^١ سورة البقرة الآية ١٧٩ .

^٢ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٣ ، ص ٣٠

^٣ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٣ ، ص ٣٠

^٤ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٣ ، ص ٣١ .

^٥ انظر ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٣ ، ص ٣٠

^٦ سورة الإسراء الآية ٨٨ .

^٧ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٣ ، ص ٣١ .

هذا التعليل الأخير من الإمام ابن حزم يؤكد فيه قوله بالصرفه، وإنني وإن كنت لا أوافقه في قوله بالصرفه، إلا أنني أوافقه في قوله : إن كل كلمة من القرآن قائمة المعنى، هي معجزة لا يقدر أحد على المجيء بمثلها أبداً.

وأختلف معه في التعليل بقدر اختلافي معه في وجه الإعجاز .

فأقول: كل كلمة من القرآن قائمة المعنى، هي معجزة لا يقدر أحد على المجيء بمثلها أبداً؛ لأن الله أحكم هذا القرآن كما قال سبحانه في سورة هود [الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير] (١). فهو سبحانه أحكم آياته، وأحكم وضع كلماتها، فجعل كل كلمة في الموضع المناسب لها، وعلم أي كلمة تصلح أن تلي الأخرى.

ومن باب أولى أعتقد جازماً أن كل آية من آي القرآن الكريم معجزة، ويحصل بها التحدي، ذلك لأن الآية ما سميت بذلك . أي بكونها آية . إلا لأنها "علامة من علامات الله، ودلالة من أدلته، وبيان من بيانه، فإن كل آية قد بين فيها من أمره وخبره ما هي دليل عليه، وعلامة عليه، فهي آية من آياته وهي أيضاً دالة على كلام الله المبين لكلام المخلوقين، فهي دالة على الله سبحانه، وعلى ما أرسل بها رسوله" (٢)، وهي أيضاً دالة على رسوله وهي أيضاً دالة على إعجاز القرآن الكريم بوجه من الوجوه ولابد، علمه من علمه وجهله من جهله. وكون الآية متعلقة بآية بعدها أو قبلها في المعنى فإن ذلك لا يضر لوجهين: الأول: أن القرآن الكريم كله مترابط في المعنى، ولم يمنع ذلك من تقسيمه إلى أجزاء وسور، بل إلى آيات كما هو واضح ومعلوم. والثاني: أن كل آية يستحب الوقوف عليها. وقد كان النبي صلى الله

١ سورة هود الآية الأولى .

٢ ابن تيمية : النبوات ج ٢، ص ٧٣٠ . وانظر أيضاً ابن تيمية : النبوات ج ٢، ص ٦٧١ .

عليه وسلم يقف عند رأس كل آية عند قراءته للقرآن، وقد قام النبي صلى الله عليه وسلم بآية يرددها حتى أصبح^(١) وهي قوله تعالى: [إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم]^(٢)؛ لأنها هي آية في نفسها، لا لكونها منقطعة مما قبلها وما بعدها^(٣).

فدل ما سبق على أن كل آية معجزة قائمة بذاتها، بغض النظر عن وجه الإعجاز فيها: لفظها، أو معناها، أو إخبارها بالغيوب، أو استمالتها للقلوب، أو مجموع ذلك، أو غير ذلك من وجوه الإعجاز العديدة. سيما وأن كل آية كما سبق، هي علامة من علامات الله، مع دلالتها على مباينة كلام الله لكلام المخلوقين.

قال القرطبي في تفسيره: "قال ابن الحصار وهذه الثلاثة من النظم والأسلوب والجزالة لازمة كل سورة، بل هي لازمة كل آية، وبمجموع هذه الثلاثة يتميز مسموع كل آية، وكل سورة عن سائر كلام البشر وبها وقع التحدي والتعجيز".^(٤)

وآثرت في نهاية الكلام على إعجاز القرآن أن آتي بخلاصة مركزة لكلام ابن حزم في الإعجاز، فأقول: لقد أصاب في قوله:

١ . إن القرآن المتلو هو المعجز وليس كما ذهب بعض أهل الكلام من أن المعجز المتحدى به هو الأول الذي لم يزل مع الله ولم يفارقه قط.

^١ (ابن ماجه) محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني: سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في القراءة في صلاة الليل، ج ١، ص ٤٢٩، (١٣٥٠). صححه الألباني انظر محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي: مشكاة المصابيح، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت ط ٣، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، ج ١، ص ٣٧٨.

^٢ سورة المائدة ١١٨ .

^٣ ابن تيمية: النبوات ج ٢، ص ٧٢٨، ٧٢٩.

^٤ أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، دار احياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، ج ١، ص ٧٢.

٢ . إن إعجاز القرآن متماد ولم يرتفع بقيام الحجة به في حياة النبي صلى الله عليه وسلم بل التحدي باق على يوم القيامة . وحرمة القول بخلاف ذلك لأن الله يقول :[قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً](١) . ولفظة (لا يأتون) في الآية، تفيد الاستقبال.

٣. إن القرآن معجز بنظمه وإنذاره بالغيوب معاً . ورد على من قال إن نظم القرآن غير معجز .

٤ . إن القرآن كله معجز قليله وكثيره، وألزم من قال بأن المعجز مقدار أقل سورة . وهي:سورة الكوثر . بالزامات لا مفر منها.

ولم نخالفه إلا في قوله بالصرفة. فهو بحق أجاد في الكلام على إعجاز القرآن.

ومن تتمة الكلام على إعجاز القرآن، رأيت من المناسب ذكر بعض ما يدل إعجازه.

فأقول: مما يدل على إعجاز القرآن:

١ . حفظ الله للقرآن من التبديل والتحريف، بخلاف الكتب السماوية السابقة، فقد وقع في جميعها التحريف. قال تعالى:{إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون}(٢).

١ سورة الإسراء الآية ٨٨ .

٢ سورة الحجر الآية ٩ .

٢ . عجز العالم عن الإتيان بنظير القرآن، رغم تحدي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن مع مضي أكثر من أربعة عشر قرناً على ذلك التحدي.

٣ . بلاغته في لفظه و نظمه وأسلوبه، واستمالته للقلوب.

٤ . إخباره بالغيوب الماضية . بما هو مطابق لما جاء في الكتب السماوية السابقة . والمستقبل، بحيث تقع طبقاً لما وصفه القرآن تماماً.

٥ . اشتماله على جميع أنواع التوحيد مما جاءت به الرسل قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى شريعة كاملة صالحة للثقلين ولكل الأزمنة.

٦ . إعجازه العلمي، فقد جاء بحقائق علمية أذهلت العلماء في شتى المجالات الطبية، والفلكية، والجيولوجية، وغيرها، فدخل العديد من العلماء بسبب ذلك في الإسلام. قال تعالى: {سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد} (١).

٧ . خلو آياته من التناقض رغم مضي أكثر من أربعة عشر قرناً من بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . قال تعالى: [أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً]

٨ . القرآن شفاء لما في الصدور، وعلاج للأمراض العضوية والنفسية، بل والمزمنة المستعصية . ويدرك ذلك كل من آمن به وجرب الاستشفاء به. هذا على سبيل المثال فقط.

المطلب الثالث: رد بن حزم على من زعم أن بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبياً غير عيسى عليه السلام

من المستقر في نفوس المسلمين الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم أنه لا نبي بعده صلى الله عليه وسلم ؛ لأن الله تعالى يقول : { ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين } (١) .

ذكر الإمام ابن حزم أن المسلمين بعد موت نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كانوا غير مختلفين في شيء من القرآن إلا ما حدث في آخر حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأول خلافة أبي بكر رضي الله عنه من ظهور الأسود العنسي (٢) في جهة صنعاء، ومسيلمة (٣) في اليمامة، يدعيان النبوة، وهما في ذلك مقران بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم معلنان

١ سورة الأحزاب الآية ٤٠ .

٢ اسمه : عيهلة بن كعب بن عوف العنسي المذحجي، ذو الخمار: متنبئ مشعوذ، من أهل اليمن، أسلم لما أسلمت اليمن، ثم ادعى النبوة في أيام النبي صلى الله عليه وسلم فكان أول مرتد في الاسلام. أرى قومه أعاجيب استهواهم بها، فاتبعته مذحج. كان بطاشا جبارا، تغلب على نجران وصنعاء، واتسع سلطانه حتى غلب على ما بين مفازة حضرموت إلى الطائف إلى البحرين والاحساء إلى عدن. وجاءت كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من بقي على الاسلام في اليمن، بالتحريض على قتله، فاغتاله أحدهم، وكان مقتله قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بشهر واحد. . انظر خير الدين الزركلي : الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، ط ٥، ١٩٨٠ م، ج ٥، ص ١١١ .

٣ اسمه : مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي، أبو ثمامة، ولد ونشأ باليمامة، في القرية المسماة اليوم بالجيلة، بقرب (العينة) بوادي حنيفة، في نجد، كثير الكذب حتى ضرب به المثل فكان يقال: (أكذب من مسيلمة). متنبئ، من المعمرين. كتب مسيلمة إلى النبي صلى الله عليه وسلم: (من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله: سلام عليك، أما بعد فاني قد أشركت في الامر معك، وإن لنا نصف الارض ولقريش نصف الارض، ولكن قريشا قوم يعتدون). فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم: (بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد رسول الله، إلى مسيلمة الكذاب، السلام على من اتبع الهدى. أما بعد : فإن الارض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين) .

أكثر مسيلمة من وضع أسجاع يضاهي بها القرآن. توفي النبي صلى الله عليه وسلم قبل القضاء على فتنته، فلما انتظم الامر لابي بكر، انتدب له أعظم قواده (خالد بن الوليد) على رأس جيش قوي، هاجم ديار بني حنيفة، وانتهت المعركة بظفر خالد ومقتل مسيلمة (سنة ١٢). انظر خير الدين الزركلي : الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج ٧، ص ٢٢٦ .

بذلك" (١). وبعد موت النبي صلى الله عليه وسلم ارتد بعض الناس وامتنعوا عن الزكاة، منهم أصحاب طليحه وسجاح، هذا بالإضافة لادعاء الأسود العنسي ومسيلمة الكذاب النبوة فأخرج إليهم أبو بكر رضي الله عنه البعوث، فقتل مسيلمة وقد كان فيروز، وذادوند (٢) الفارسيان الفاضلان رضي الله عنهما قتلا الأسود العنسي فلم يمض عام واحد حتى راجع الجميع الإسلام أولهم عن آخرهم وأسلمت سجاح وطليحة وغيرهم وإنما كانت نزغة من الشيطان كنار اشتعلت فأطفأها الله للوقت" (٣).

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أخبر بأنه خاتم النبيين ، كما روى ذلك البخاري أن أبا هريرة حدث عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم أنه قَالَ: « كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ ، وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي ، وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ . قَالُوا فَمَا تَأْمُرُنَا قَالَ فُوا بَبِيعَةِ الْأَوَّلِ فالأَوَّلِ ، أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ» (٤). نعم نحن نؤمن بنزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان، لكنه عليه السلام يحكم بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم .

ولذلك قال الإمام ابن حزم رحمه الله تعالى: " قد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنقل الكواف التي نقلت نبوته وأعلامه وكتابه، أنه أخبر أنه

١ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٢ ، ص ٢١٤ .

٢ والصحيح "ذاذويه" كما أثبت ذلك محقق كتاب الفصل، انظر ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٢ ، ص ٢١٥ ، حاشية

رقم ٣ .

٣ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٢ ، ص ٢١٥ ، ٢١٦ .

٤ (البخاري) محمد بن إسماعيل : الجامع الصحيح، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ج ٣،

ص ١٢٧٣، (٣٢٦٨).

لا نبي بعده، إلا ما جاءت الأخبار الصحاح من نزول عيسى عليه السلام الذي بعث إلى بني إسرائيل، وادعى اليهود قتله وصلبه، فوجب الإقرار بهذه الجملة، وصح أن وجود النبوة بعده عليه السلام باطل لا يكون ألبتة، وبهذا يبطل أيضا قول من قال بتواتر الرسل ووجوب ذلك أبدا "(١).

وقال رحمه الله تعالى: "وأما من قال إن الله عز وجل هو فلان، لإنسان بعينه، أو أن الله تعالى يحل في جسم من أجسام خلقه، أو أن بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبيا غير عيسى بن مريم، فإنه لا يختلف اثنان في تكفيره؛ لصحة قيام الحجة بكل هذا على كل أحد، ولو أمكن أن يوجد أحد يدين بهذا لم يبلغه قط خلافه، لما وجب تكفيره حتى تقوم الحجة عليه"(٢).

ومعلوم أنه جاء في القرآن الكريم قوله عز من قائل: [ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين] (٣). فأتى الله لنا النعمة وأكمل لنا الدين، قال تعالى: {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً} (٤). ولذلك فقد اتفقت كلمة المسلمين، أن من ادعى النبوة بعد نبينا وحبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، فهو من الأفاكين الكذابين، أمثال مسيلمة الكذاب (٥) والأسود العنسي (٦) وغيرهما من المتنبيين الكذابين، ممن ادعى النبوة بعد نبينا وحبينا محمد صلى الله عليه

^١ ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١، ص ١٤٦.

^٢ ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٣، ص ٢٩٣.

^٣ سورة الأحزاب الآية ٤٠.

^٤ سورة الآية المائدة ٣.

^٥ انظر خير الدين الزركلي: الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج ٧، ص ٢٢٦. وانظر ص ٩٤ حاشية رقم ٣.

^٦ انظر خير الدين الزركلي: الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، ط ٥، ١٩٨٠ م، ج ٥، ص ١١١. وانظر أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي: تهذيب التهذيب، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م، ج ١٢، ص ٢٥٦. وانظر ص ٩٤ حاشية رقم ٢.

وسلم، ومنهم من ادعاهما في هذا القرن مثل ميرزا غلام أحمد القادياني الهندي^(١)، عليهم من الله جميعاً ما يستحقون.

المطلب الرابع: الرد على من زعم أن محمداً بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وسلم ليس هو الآن رسول الله صلى الله عليه

وضح ابن حزم رحمه الله أن الذين زعموا أن محمداً بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وسلم ليس هو الآن رسول الله صلى الله عليه وسلم

^١ انظر محمد ناصر الدين الألباني : السلسلة الصحيحة، برنامج منظومة التحقيقات الحديثية - المجاني - من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية، ج٢ ، ص ٤٢٧ .

هم فرقة مبتدعة، ونسب هذا القول إلى الأشعرية^(١)، وذكر أن سليمان بن خلف الباجي^(٢) أخبره أن محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني^(٣) على هذه المسئلة قتله بالسهم محمود بن سبكتكين^(٤) صاحب مادون وراء النهر من خراسان رحمه الله^(٥).

قال الإمام ابن حزم: "وهذه مقالة خبيثة مخالفة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم، ولما أجمع عليه جميع أهل الإسلام إلى يوم القيامة"^(٦).

ثم شرع في بيان السبب الذي أوقعهم في هذا القول، قائلاً: "وإنما حملهم على هذا، قولهم الفاسد: إن الروح عرض، والعرض يفنى أبداً، ويحدث ولا

^١ نسبة إلى الأشعري واسمه: علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أمير البصرة بلال بن أبي بردة بن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي موسى عبد الله بن قيس بن حضار، الأشعري اليماني البصري. ولد سنة ٢٦٠هـ، وقيل: بل ٢٧٠هـ. كان عجباً في الذكاء، وقوة الفهم، ولما برع في معرفة الاعتزال، كرهه وتبرأ منه، وصعد للناس، فتاب إلى الله تعالى منه، ثم أخذ يرد على المعتزلة، ويهتك عوارهم. له ذكاء مفرط، وتبحر في العلم، وله أشياء حسنة، وتصانيف جمّة تقضي له بسعة علمه منها: الإبانة عن أصول الديانة، ومقالات الإسلاميين. كان يقول بخلق القرآن ثم تاب عن ذلك. انظر الإمام الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ١٥، ص ٨٥. ٨٨.

يقول محقق كتاب الفصل: هذا القول الذي نسبته ابن حزم للأشعرية "لم يقل به أحد منهم، وإنما نسبته إليهم بعض من تحاملوا عليهم" ثم ذكر أن الإمام القشيري نفاه عنهم في كتابه: شكايه أهل السنة وكذا الباقلاني في كتابه رسالة الحرة المسمى بالإنصاف ص ٥٥. انظر ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ١، ص ١٦١، حاشية رقم ٢.

^٢ انظر ترجمته ص ١٧.

^٣ محمد بن الحسن بن فورك الانصاري الاصبهاني، أبو بكر: واعظ عالم بالاصول والكلام، من فقهاء الشافعية، قتله محمود بن سبكتكين بالسهم، بسبب قوله إن: رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رسولاً في حياته فقط، وإن روحه قد بطل وتلاشى. قال ابن عساكر: بلغت تصانيفه في أصول الدين وأصول الفقه ومعاني القرآن قريباً من المئة: منها (مشكل الحديث وغريبه) و (النظامي) في أصول الدين. انظر الأعلام للزركلي ج ٦، ص ٨٣.

^٤ محمد بن سبكتكين الغزنوي، السلطان يمين الدولة أبو القاسم ابن الأمير ناصر الدولة أبي منصور: فاتح الهند، وأحد كبار قادتها، امتدت سلطنته من أقاصى الهند إلى نيسابور. وكانت عاصمته غزنة (بين خراسان والهند) وفيها ولادته ووفاته، ولد سنة ٣٦١هـ، تركي الأصل مستعرب، استولى على الامارة سنة ٣٨٩هـ، كان حازماً صائب الرأي، يجالس العلماء، وينظرهم. وكان من أعيان الفقهاء، فصيحا بليغاً، استعان بأهل العلم على تأليف كتب كثيرة في فنون مختلفة، نسبت إليه، منها كتاب (التفريد) في فقه الحنفية: نحو ستين ألف مسألة، وخطب ورسائل، وشعر. وهو الذي قتل محمد بن الحسن بن فورك الانصاري الأصبهاني بسبب قوله إن: رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رسولاً في حياته فقط، وإن روحه قد بطل وتلاشى. انظر الأعلام للزركلي - (ج ٧ / ص ١٧١).

^٥ ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١، ص ١٦١.

^٦ ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١، ص ١٦٢.

يبقى وقتين، فروح النبي صلى الله عليه وسلم عندهم قد فنيت وبطلت، ولا روح الآن عند الله تعالى. وأما جسده ففي قبره موات فبطلت نبوته بذلك ورسالته" (١).

فهم يعتقدون: "أن روح كل واحد منا الآن هو غير روحه الذي كان له قبل ذلك بطرفه عين، وأن كل واحد منا يبذل أزيد من ألف ألف روح في كل ساعة زمنية، وأن النفس: إنما هو هذا الهواء الخارج بالتنفس حارا بعد دخوله باردا، وأن الإنسان إذا مات فني روحه وبطل، وأنه ليس لمحمد ولا لأحد من الأنبياء عند الله تعالى روح ثابتة تنعم، ولا نفس قائمة تكرم، وهذا خروج عن إجماع أهل الإسلام" (٢).

وقد حكم الإمام ابن حزم على هذا القول بأنه كفر صراح لا تردد فيه (٣) وأنه باطل لوجه:

الوجه الأول: مخالفته لما أمر الله عز وجل به ورسوله صلى الله عليه وسلم، واتفق عليه جميع أهل الإسلام من كل فرقة ومن كل نحلة من الآذان في المساجد والجوامع كل يوم خمس مرات، بقولهم فيه: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

قال ابن حزم "وإنما كان يجب أن يكون الآذان على قولهم: أشهد أن محمداً كان رسول الله. وإلا فمن أخبر عن شيء كان، وبطل أنه كائن الآن فهو كاذب، فالآذان كذب على قولهم، وهذا كفر مجرد" (٤).

١ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١، ص ١٦٢.

٢ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٥، ص ٨٥.

٣ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١، ص ١٦٢.

٤ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١، ص ١٦٢.

الوجه الثاني : مخالفته لما اتفق عليه جميع أهل الإسلام بلا خلاف من أحد منهم من تلقين موتاهم: لا إله إلا الله محمد رسول الله^(١).

الوجه الثالث: ما عمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة قتاله الأمة، وأمره عن الله عز وجل بأن يعمل به بعده أبداً، وأجمع على القول به والعمل جميع أهل الإسلام من أول الإسلام إنسهم وجنهم، يبطل قول هؤلاء^(٢).

الوجه الرابع : مخالفته لقوله تعالى: [ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك]^(٣).

ولقوله تعالى: [يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم]^(٤).

ولقوله تعالى: [وجيء بالنبیین والشهداء]^(٥). فقد سماهم الله رسلا وقد ماتوا، وسماهم نبیین ورسلاً وهم في القيامة^(٦).

الوجه الخامس: وكذلك مخالفته لما أجمع الناس عليه وجاء به النص من قول كل مصل فرضاً أو نافلة [السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته]،

^١ انظر ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١، ص ١٦٢.

^٢ انظر ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١، ص ١٦٢.

^٣ . سورة النساء الآية ١٦٤ .

^٤ . سورالمائدة الآية ١٠٩ .

^٥ . سورة الزمر الآية ٦٩ .

^٦ انظر ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١، ص ١٦٣.

فلو لم يكن روحه عليه السلام موجوداً قائماً لكان السلام على العدم لا معنى له^(١).

وبالجملة فهذا القول مخالف للقرآن وللسنن الثابتة وإجماع الأمة .

أما كونه خلاف إجماع الأمة فقد تقدم ذلك في الوجه الأول والثاني^(٢).

وأما كونه خلاف القرآن فقد قال تعالى: [أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق] ^(٣).

قال ابن كثير في تفسيره هذه الآية: "وذلك أن الكافر إذا احتضر بشرته الملائكة بالعذاب والنكال، والأغلال والسلاسل، والجحيم والحميم، وغضب الرحمن الرحيم، فتنفرك روحه في جسده، وتعصي وتأبى الخروج، فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم، قائلين لهم: {أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق} ^(٤) الآية، أي اليوم تهانون غاية الإهانة كما كنتم تكذبون على الله وتستكبرون عن اتباع آياته والانقياد لرسله" ^(٥).

وقال ابن جرير في تفسيرها: "وهذا خبر من الله جل ثناؤه عما تقول رسل الله التي تقبض أرواح هؤلاء الكفار لها، يخبر عنها أنها تقول لأجسامها

^١ انظر ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١، ص ١٦٣ .

^٢ انظر ص ٩٨ ، ٩٩ .

^٣ سورة الأنعام الآية ٩٣ .

^٤ سورة الأنعام الآية ٩٣ .

^٥ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي : تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢ ،

١٤٢٠هـ / ١٩٩٩ م ، ج ٣ ، ص ٢٠٣ .

ولأصحابها : { أخرجوا أنفسكم }^(١) إلى سخط الله ولعنته، فإنكم اليوم تثابون على كفركم"^(٢).

فثبت بذلك أن الملائكة تقبض أرواح الكفار عند الموت. وأن أرواح الكفار تعذب بعد الموت.

ويدل على أن الملائكة تقبض الأرواح عند الموت أيضاً قوله تعالى : { الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى }^(٣).

بل إن القرآن صرح بأن من قتل في سبيل الله فهو حي عند الله . قال تعالى: [ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون]^(٤) وقال عز وجل: [ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون]^(٥).

فكيف يستقيم قولهم بأن الإنسان إذا مات فني روحه وبطل، وأنه ليس لمحمد . صلى الله عليه وسلم . ولا لأحد من الأنبياء . عليهم الصلاة والسلام . عند الله تعالى روح ثابتة تنعم؟. فهذا هو القرآن بين أيديهم ينطق عليهم بالحق. بل أثبت الله في القرآن الرسالة للرسول في اليوم الآخر بقوله تعالى: [يوم

^١ سورة الأنعام الآية ٩٣ .

^٢ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري : جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١ ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م، ج ١١، ص ٥٤٠ .

^٣ سورة الزمر الآية ٤٢ .

^٤ سورة البقرة الآية ١٥٤ .

^٥ سورة آل عمران الآية ١٦٩ - ١٧٠ .

يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتكم^(١) وقوله تعالى: [وجيء بالنبیین والشهداء]^(٢). فسماهم الله رسلا وقد ماتوا وسماهم نبیین ورسلا وهم في القيامة. فهذه الأدلة من القرآن كلها مما استدل بها ابن حزم على إبطال قولهم هذا^(٣).

وأما كونه خلاف السنن الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد نقل بالتواتر رؤيته صلى الله عليه وسلم الأنبياء عليهم السلام ليلة أسري به في السماء ونقل كذلك أنه جرى له مع موسى عليه السلام في عدد الصلوات المفروضات، وأن أرواح الشهداء نسمة تعلق في ثمار الجنة، وما يلقي الروح عند خروجه من الفتنة والمسائلة، وإخباره عليه السلام أنه رأى عن يمين آدم أسودة نسمة بنيه من أهل الجنة، وعن يساره أسودة نسمة بنيه من أهل النار^(٤).

اعتراض أورده ابن حزم مع رده عليه

قال رحمه الله: "فإن قالوا كيف يكون ميتاً رسول الله وإنما الرسول هو الذي يخاطب عن الله بالرسالة"^(٥).

رد ابن حزم رحمه الله

^١ سورة المائدة الآية ١٠٩.

^٢ سورة الزمر الآية ٤٢.

^٣ انظر ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٥، ص ١٨٥.

^٤ انظر ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١، ص ١٦٣.

^٥ انظر ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١، ص ١٦٣.

قال رحمه الله: "قيل لهم نعم من أرسله الله مرة واحدة فقط، رسولاً لله تعالى أبداً؛ لأنه حاصل على مرتبة جلالة لا يحيطه عنها شيء أبداً، ولا يسقط عنه هذا الاسم أبداً" (١).

ثم وضح أن لو كان ما قالوا صحيحاً للزمت أشياء منها:

١. لزم أن لا يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولاً إلى أهل اليمن في حياته لأنه لم يكلمهم ولا شافهم.

٢. لزم أيضاً أن لا يكون رسول الله إلا ما دام يكلم الناس فإذا سكت أو أكل أو نام أو جامع لم يكن رسول الله. قال ابن حزم: "وهذا حمق مشوب بكفر وخلاف للإجماع المتيقن ونعوذ بالله من الخذلان" (٢).

٣. لزم تكذيب خبر الإسراء الذي ذكره الله عز وجل في القرآن، وخبر الإسراء منقول نقل التواتر، ذكر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى الأنبياء عليهم السلام في سماء سماء (٣) فهل رأى إلا أرواحهم التي هي أنفسهم. قال: "ومن كذب بهذا أو بعضه فقد انسلخ عن الإسلام بلا شك ونعوذ بالله من الخذلان وهذه براهين لا محيد عنها" (٤).

٤. لزم تكذيب ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أخبر أن لله ملائكة يبلغونه منا السلام، وأنه من رآه في المنام فقد رآه حقاً (٥).

١ انظر ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١، ص ١٦٣.

٢ انظر ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١، ص ١٦٣.

٣ (البخاري) محمد بن إسماعيل: الجامع الصحيح، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء، ج ١، ص ١٣٥، (٣٤٢).

٤ انظر ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١، ص ١٦٣.

٥ (البخاري) محمد بن إسماعيل: الجامع الصحيح، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم، ج ١، ص ٥٢، (١١٠). وانظر ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١، ص ١٦٣، ١٦٤.

ولا ينسى ابن حزم رحمه الله وهو يرد على هذه الفرقة أن يذكر ما بلغه من ضلالات بعضهم مع رده عليهم، فيذكر أنه قد بلغه عن بعضهم أنهم يقولون : إن أمهات المؤمنين رضوان الله عليهم لسن الآن أمهات المؤمنين لكنهن كن أمهات المؤمنين! قال رحمه الله: "وهذا ضلال بحت، وحماقة محضة، ولو كان هذا لوجب أن لا تكون أم المرء التي ولدته وأبوه الذي ولده أباه ولا أمه إلا في حين الولادة والحمل من الأم فقط، وفي حين الإنزال من الأب فقط لا بعد ذلك، وهذا من السخف الذي لا يرضى به لنفسه ذو مسكة"^(١).

^١ انظر ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١، ص ١٦٤ .

المطلب الخامس : حكم من سب النبي صلى الله عليه وسلم

ذكر ابن حزم في رده على اليهود والنصارى أن قولهم : إن شتم الله تعالى ليس كفراً وكذلك شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم هو مجرد دعوى. وأن الصحيح هو كفر من شتم الله سبحانه، وكذلك كفر من شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستدل لما ذهب إليه بما يلي:

١. بقوله تعالى: [يحلِفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم](١).

قال: "فنص تعالى على أن من الكلام ما هو كفر"(٢).

٢. وقوله تعالى: [وإذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذاً مثلهم](٣).

قال: "فنص تعالى أن من الكلام في آيات الله تعالى ما هو كفر بعينه مسموع"(٤).

٣. وقوله تعالى: [قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم أن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة](٥).

قال: "فنص تعالى على أن الاستهزاء بالله تعالى أو بآياته أو برسول من رسله كفر مخرج عن الإيمان، ولم يقل تعالى في ذلك أنني علمت أن في قلوبكم كفراً، بل جعلهم كفاراً بنفس الاستهزاء. ومن أدعى غير هذا فقد قول الله تعالى ما لم يقل وكذب على الله تعالى"(٦).

وأيضاً قال الإمام ابن حزم بعد ذكر هذه الآية: "فهؤلاء كلهم كفار بالنص، وصح الإجماع على أن كل من جحد شيئاً صح عنده بالإجماع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى به فقد كفر، وصح بالنص أن كل من استهزأ بالله تعالى، أو بملك من الملائكة، أو بنبي من الأنبياء عليهم السلام، أو

١ سورة الآية التوبة ٧٤ .

٢ انظر ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٣، ص ٢٤٤ .

٣ سورة النساء الآية ١٤٠ .

٤ انظر ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٣، ص ٢٤٥ .

٥ سورة التوبة الآية ٦٥ ، ٦٦ .

٦ انظر ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٣، ص ٢٤٥ .

بآية من القرآن، أو بفريضة من فرائض الدين فهي كلها آيات الله تعالى بعد بلوغ الحجة إليه فهو كافر" (١).

ودليل آخر ذكر الإمام ابن حزم أنه من أدلة الذين كفّروا من سب النبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} (٢)

قال: "قالوا: وبضرورة الحس والمشاهدة ندري أن من سب الله تعالى، أو النبي صلى الله عليه وسلم، أو ملكا من الملائكة، أو نبيا من الانبياء على جميعهم السلام، أو شيئا من الشريعة، أو استخف بشئ من ذلك كله، فلم يحكم النبي صلى الله عليه وسلم" (٣).

ودليل آخر ذكره الإمام ابن حزم قال الإمام رحمه الله: "وكذلك علمنا بضرورة المشاهدة أن كل ساب وشاتم فمستخف بالمشتوم مستهزئ به، فالاستخفاف والاستهزاء شيء واحد" (٤). وذكر ابن حزم في المحلى اختلاف الناس فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم، أو نبياً من الأنبياء ممن ينتسب إلى الإسلام، قال: "فقال طائفة: ليس ذلك كفراً، وقالت طائفة: هو كفر، وتوقف آخرون في ذلك. فأما التوقف فهو قول أصحابنا" (٥).

^١ ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٣، ص ٢٩٩.

^٢ سورة النساء الآية ٦٥.

^٣ علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد: المحلى، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة - بيروت، تحقيق:

لجنة إحياء التراث العربي ج ١١، ص ٤١٢.

^٤ علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد: المحلى، ج ١١، ص ٤١٢.

^٥ علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد: المحلى، ج ١١، ص ٤٠٨، ٤٠٩.

ثم وضح أن من قال: إنه كفر فقد أباح دمه بذلك^(١).

ثم ذكر بعد ذلك ابن حزم أدلة من منع من كفر من سب النبي صلى الله عليه وسلم ورد عليها. ثم ذكر أدلة من قال بكفر من سب نبينا صلى الله عليه وسلم وأيدها قائلاً: "فصح بهذا كفر من سب النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه عدو لله تعالى، وهو عليه السلام لا يعادي مسلماً، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾"^(٢).

فصح بما ذكرنا أن كل من سب الله تعالى، أو استهزأ به، أو سب ملكاً من الملائكة، أو استهزأ به، أو سب نبياً من الأنبياء، أو استهزأ به، أو سب آية من آيات الله تعالى، أو استهزأ بها . والشرائع كلها والقرآن من آيات الله تعالى . فهو بذلك كافر مرتد له حكم المرتد، وبهذا نقول وبالله تعالى التوفيق".^(٣)

ذكر ابن تيمية في كتابه الصارم المسلول أن ابن المنذر^(٤)، وكذلك أبو بكر الفارسي^(٥) نقلوا إجماع أهل العلم على أن حد من سب النبي صلى الله عليه

^١ علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد : المحلى، ج ١١، ص ٤٠٩.

^٢ سورة التوبة الآية ٧١ .

^٣ علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد : المحلى، ج ١١ / ص ٤١٣.

^٤ هو : محمد بن إبراهيم بن المنذر الحافظ العلامة أبو بكر النيسابوري ، عدل صادق ، شيخ الحرم كان فقيها عالماً مطلعاً ، وهو صاحب الكتب التي لم يصنف مثلها ككتاب المبسوط في الفقه، وكتاب الاشراف في اختلاف العلماء وهو من أحسن المصنفات في فنه ، وكتاب الإجماع، وغير ذلك، وكان غاية في معرفة الاختلاف والدليل، وقد كان مجتهداً لا يقلد أحداً، وقد اعتمد على ابن المنذر جماعة من الأئمة فيما صنفه في الخلافات ، وفي بمكة سنة ٣١٨ هـ . انظر أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني: لسان الميزان، تحقيق: دائرة المعارف النظامية بالهند ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م، ط ٣ ، ج ٥، ص ٢٧ .
وانظر أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ج ٤، ص ٢٠٧ . وانظر الإمام الذهبي: تذكرة الحفاظ ج ٣ / ص ٧٨٢.

^٥ أحمد بن الحسين بن سهل أبو بكر الفارسي ، إمام جليل وهو صاحب عيون المسائل في نصوص الشافعي ، ومن تصانيفه أيضاً: الذخيرة في أصول الفقه، وكتاب الإنتقاد على المزني، انظر تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق: د.

و سلم القتل ، و ممن قال بذلك مالك و الليث و أحمد و إسحاق بن راهوية،
والخطابي^(١) و هو مذهب الشافعي ومحمد بن عبد السلام بن سحنون
الفقيه المالكي . و قيد القاضي عياض ذلك بأن قال: يجب قتله إذا كان
مسلماً^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "و تحرير القول فيه : إن الساب إن كان مسلماً
فإنه يكفر و يقتل بغير خلاف، و هو مذهب الأئمة الأربعة و غيرهم، و قد
تقدم ممن حكى الإجماع على ذلك إسحاق بن راهويه و غيره، و إن كان
ذمياً فإنه يقتل أيضاً في مذهب مالك و أهل المدينة، و سيأتي حكاية
ألفاظهم و هو مذهب أحمد و فقهاء الحديث، و قد نص أحمد على ذلك في
مواضع متعددة.

قال حنبل : سمعت أبا عبد الله يقول : كل من شتم النبي صلى الله عليه و
سلم أو تنقصه . مسلماً كان أو كافراً . فعليه القتل و أرى أن يقتل و لا
يستتاب"^(٣).

والأحاديث الدالة على تعين قتل من سب نبينا وحبينا محمد صلى الله عليه
وسلم كثيرة منها: حديث على رضي الله عنه : "أن يهودية كانت تشتم النبي

محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤١٣هـ، ج ٢، ص ١٨٤. ١٨٦. وانظر عمر
رضا كحالة : معجم المؤلفين تراجم مصنفى الكتب العربية، ج ١، ص ١٩٢ .

^١ هو الامام العلامة المفيد المحدث الرحال أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي صاحب التصانيف، برع إلى
جانب الحديث في الفقه والشعر، ولد بمدينة بست وتوفي فيها سنة ٣٨٨هـ، انظر الإمام الذهبي : تذكرة الحفاظ، ج ٣، ص ١٠١٨ ،

. ١٠١٩

^٢ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، الصارم المسلول على شاتم الرسول ، تحقيق خالد عبد اللطيف السبع العلمي، دار
الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط ١، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٥م، ج ٢، ص ١٣، ١٤ .

^٣ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، الصارم المسلول على شاتم الرسول، ج ٢، ص ١٦ .

صلى الله عليه وسلم وتقع فيه، فخنقها رجل حتى ماتت، فأبطل رسول الله صلى الله عليه وسلم دمها" (١) .

أخرجه أبو داود. وقد حكم الشيخ الألباني على هذا الحديث بالصحة وقال: إسناده صحيح على شرط الشيخين، ويشهد له حديث ابن عباس (٢).

وحديث ابن عباس رضي الله عنهما المشار إليه أخرجه أيضاً أبو داود في سننه، ونصه "أن أعمى كانت له أم ولد تشتم النبي صلى الله عليه وسلم وتقع فيه، فينهاها فلا تنتهي، ويزجرها فلا تنزجر، قال: فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي صلى الله عليه وسلم وتشتمه، فأخذ المغول فوضعه في بطنها، واتكأ عليها فقتلها، فوقع بين رجليها طفل فاطخت ما هناك بالدم، فلما أصبح ذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فجمع الناس فقال أنشد الله رجلاً فعل ما فعل لي عليه حق إلا قام، فقام الأعمى يتخطى الناس وهو يتزلزل حتى قعد بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله أنا صاحبها، كانت تشتمك وتقع فيك، فأنهاها فلا تنتهي،

١ (أبو داود) سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي: سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، كتاب الحدود، باب الحكم فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم، ج ٤، ص ١٢٩، (٤٣٦٢) . وهو صحيح، صححه الألباني وقال: صحيح على شرط الشيخين. انظر محمد ناصر الدين الألباني: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، ج ٥، ص ٩١.

٢ انظر محمد ناصر الدين الألباني: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ج ٥، ص ٩١.

وأزجرها فلا تنزجر، ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين، وكانت بي رفيقة، فلما كانت البارحة جعلت تشتمك وتقع فيك، فأخذت المغول فوضعت في بطنها، واتكأت عليها حتى قتلتها، فقال: النبي صلى الله عليه وسلم: ألا اشهدوا أن دمها هدر" (١).

وقد صححه الشيخ الألباني أيضاً وقال: إسناده صحيح على شرط مسلم (٢).

قال العلامة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى موضحاً تعيين قتل من سب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: "والدليل على أنه يتعين قتله ولا يجوز استرقاقه، ولا المن عليه، ولا المفاداة به، من طريقين:

أحدهما: ما تقدم من الأدلة على وجوب قتل ناقض العهد، إذا نقضه بما فيه ضرر على المسلمين مطلقاً.

الثاني: ما يخصه وهو من وجوه:

أحدها: ما تقدم من الآيات الدالة على وجوب قتل الطاعن في الدين.

الثاني: حديث الرجل الذي قتل المرأة اليهودية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمها وقد تقدم من حديث على بن أبي طالب وابن عباس، فلو كان سب النبي صلى الله عليه وسلم يرفع العهد فقط ولا يوجب القتل، لكانت هذه المرأة كافرة أسيرة وبمنزلة

١ (أبو داود) سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي: سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، كتاب الحدود، باب الحكم فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم، ج ٤، ص ١٢٩، (٤٣٦١). صححه الألباني وقال: "إسناده صحيح على شرط مسلم" انظر محمد ناصر الدين الألباني: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ج ٥، ص ٩١.

٢ انظر محمد ناصر الدين الألباني: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المكتب الإسلامي، ج ٥ - ص ٩٢.

كافرة دخلت إلى دار الاسلام ولا عهد لها ومعلوم انه لا يجوز قتلها وأنها
تصير رقيقة للمسلمين بالسبي، وهذه المرأة المقتولة كانت رقيقة" (١). ثم
وضح رحمه الله أن المسلم اذا كانت له أمة كافرة حربية لم يجز له بل ولا
لغيره قتلها لمجرد كونها حربية، بل إذا اخذها المسلمون ترد على سيدها
لأنها ملك له. وأنه لاخلاف بين المسلمين في أن المرأة لا يجوز قتلها لمجرد
الكفر إذا لم تكن معاهدة كما يقتل الرجل لذلك. وأنه لا خلاف بين المسلمين
في أن المرأة اذا ثبت في حقها حكم نقض العهد فقط مثل ان تكون من اهل
الهدنة وقد نقضوا العهد . فإنه لا يجوز قتلها بل تسبى هي وأولادها (٢).

فتلخص من ذلك أن من سب نبينا صلى الله عليه وسلم فهو كافر بذلك
السب، ويقتل سواء كان مسلماً، أو كافراً معاهداً ، أو غير معاهد. ولا
يستتاب المسلم (٣).

المبحث الرابع: الكلام على نبوة النساء وفيه أربعة مطالب:

١ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحارثي: الصارم المسلول على شاتم الرسول، ج ٢، ص ٥١٢، ٥١٣ .

٢ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحارثي : الصارم المسلول على شاتم الرسول، ج ٢، ص ٥١٣ .

٣ وانظر أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحارثي: الصارم المسلول على شاتم الرسول، ج ٢، ص ٢٠٦ . ٢١٠ .

المطلب الأول: كلام ابن حزم في الرؤيا:.

وإنما آثرت أن أبدأ بالكلام على الرؤيا؛ لأن الرؤيه الصادقة جزء من ست وأربعين جزءاً من النبوة، وهي أول ما بُدئ به النبي صلى الله عليه وسلم من الوحي فكان لا يرى رؤية إلا جاءت مثل فلق الصبح، فهي مقدمة لنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

ذكر الإمام ابن حزم في مطلع كلامه على الرؤيا أن صالح قبة تلميذ النظام ذهب إلى أن الذي يرى أحداً في الرؤيا حق كما هو، وأنه من رأى أنه بالصين وهو بالأندلس فإن الله عز وجل اخترعه في ذلك الوقت بالصين!

قال الإمام ابن حزم معلقاً على قول صالح: "وهذا القول في غاية الفساد؛ لأن العيان والعقل يضطر إلى كذب هذا القول وبطلانه، أما العيان: فلأننا نشاهد حينئذ هذا النائم عندنا وهو يرى نفسه في ذلك الوقت بالصين، وأما من طريق العقل: فهو معرفتنا بما يرى الحالم من المحالات من كونه مقطوع الرأس حياً وما أشبه ذلك، وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلاً قص عليه رؤيا فقال: لا تخبر بتلعب الشيطان بك" (١) (٢).

١ (مسلم) مسلم بن الحجاج : صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الرؤيا، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم من رأي في المنام فقد رأي، ج ٤، ص ١٧٧٦ (٢٢٦٨) . ولفظ الحديث في صحيح مسلم: عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لأعرابي جاءه فقال إني حلمت أن رأسي قطع فأنا أتبعه، فزجره النبي صلى الله عليه وسلم وقال: لا تخبر بتلعب الشيطان بك في المنام". وللحديث روايات أخرى في نفس الموضع من صحيح مسلم.

٢ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥ ، ص ١٢٣ .

ثم وضع الإمام ابن حزم أن القول الصحيح في الرؤيا هو أنها أنواع (١) :

الأول: ما يكون من قبل الشيطان، وهو ما كان من الأضغاث وقد جاء في

التنزيل [وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين] (٢) ، فهو تخليط من الشيطان.

والسنة ألا يتحدث المرء بأضغاث الأحلام مطلقاً، لقول النبي صلى الله عليه وسلم الآنف الذكر [لا تخبر بتلعب الشيطان بك] (٣).

الثاني: ما يكون من حديث النفس وهو ما يشتغل به المرء في اليقظة فيراه في النوم، من خوف عدو، أو لقاء حبيب، أو خلاص من خوف، أو نحو ذلك.

الثالث: ما يكون من غلبة الطبع: كرؤية من غلب عليه الدم للأنوار والزهر والحمرة والسرور، ورؤية من غلب عليه الصفراء للنيران، ورؤية صاحب البلغم للثلوج والمياه، وكرؤية من غلب عليه السوداء الكهوف والظلم.

الرابع: ما يريه الله عز وجل نفس الحالم إذا صفت من أقدار الجسد، وتخلصت من الأفكار الفاسدة، فيكشف الله تعالى به الكثير من المغيبات

^١ روى البخاري في صحيحه: "حدثنا محمد بن سيرين أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا اقترب الزمان لم تكذب رؤيا المؤمن تكذب، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، وما كان من النبوة فإنه لا يكذب. قال محمد: وأنا أقول هذه، قال: وكان يقال الرؤيا ثلاث: حديث النفس، وتخويف الشيطان، وبشرى من الله، فمن رأى شيئاً يكرهه فلا يقصه على أحد، وليقم فليصل". (البخاري) محمد بن إسماعيل: الجامع الصحيح، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، كتاب التعبير، باب القيد في المنام ج ٦، ص ٢٥٧٤، (٦٦١٤).

^٢ سورة يوسف الآية ٤٤ .

^٣ انظر تخرج الحديث في الصفحة السابقة.

التي لم تأت بعد، وعلى قدر تفاضل النفس في النقاء والصفاء، يكون تفاضل ما يراه الرائي في الصدق^(١).

أقول: والسنة ألا يخبر المرء بالرؤيا الصالحة إلا من يحب، وكذلك من السنة إذا حلم المرء أن يبصق عن يساره وأن يتعوذ بالله من شرها فإنها لا تضره بإذن الله، والدليل ما أخرجه البخاري في صحيحه: "الرؤيا الحسنة من الله، فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث به إلا من يحب، وإذا رأى ما يكره فليتعوذ بالله من شرها ومن شر الشيطان، وليتقل ثلاثاً، ولا يحدث بها أحداً فإنها لن تضره"^(٢). وجاء في صحيح البخاري أيضاً عن أبي قتادة عن أبيه قال: "قال النبي صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان فإذا حلم أحدكم حلمًا يخافه فليبصق عن يساره وليتعوذ بالله من شرها فإنها لا تضره"^(٣).

قال الإمام ابن حزم رحمه الله تعالى: "وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لم يبق بعده من النبوة إلا المبشرات"^(٤) وهي الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له، وأنها جزء من ستة وعشرين جزءاً من النبوة إلى جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة إلى جزء من سبعين جزءاً من النبوة، وهذا

^١ ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥، ص ١٢٣، ١٢٤.

^٢ (البخاري) محمد بن إسماعيل: الجامع الصحيح، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، كتاب التعبير، باب إذا رأى ما يكره فلا يخبر بها ولا يذكرها، ج ٦، ص ٢٥٨٢، (٦٦٣٧).

^٣ (البخاري) محمد بن إسماعيل: الجامع الصحيح، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، كتاب التعبير، باب بدء الخلق، باب صفة ابليس وجنوده، صحيح البخاري ج ٣، ص ١١٩٨، (٣١١٨).

^٤ ورد في صحيح البخاري أن أبا هريرة قال: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لم يبق من النبوة إلا المبشرات قالوا وما المبشرات قال: الرؤيا الصالحة". انظر (البخاري) محمد بن إسماعيل: الجامع الصحيح، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، كتاب التعبير، باب المبشرات، ج ٦، ص ٢٥٦٤، (٦٥٨٩).

نص جلي ما ذكرنا من تفاضلها في الصدق والوضوح والصفاء من كل تخطيط" (١).

ثم وضع الإمام ابن حزم رحمه الله تعالى: أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما عني بهذه النسب والأقسام رؤيا الأنبياء عليهم السلام، فمنهم من رؤياه جزء من ستة وعشرين جزءاً من أجزاء نبوته وخصائصه وفضائله، ومنهم من رؤياه جزء من ستة وأربعين جزءاً من نبوته وخصائصه وفضائله، ومنهم من رؤياه جزء من سبعين جزءاً من نبوته وخصائصه وفضائله (٢).

قال: "وهذا هو الأظهر والله أعلم ويكون خارجاً على مقتضى ألفاظ الحديث بلا تأويل بتكلف" (٣).

والصحيح في رأيي: أن المقصود بذلك رؤيا الصالحين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، والقرينة الدالة على ذلك: تصريح النبي صلى الله عليه وسلم أنه "لم يبق بعدي من النبوة إلا المبشرات" (٤) وهي الرؤيا الصالحة، فهذا صريح في وقوعها بعده، للصالحين من أمته صلى الله عليه وسلم، والله أعلم.

واختتم الإمام ابن حزم كلامه على الرؤيا بذكر الفرق بين رؤيا الأنبياء ورؤيا غير الأنبياء، وهو أن رؤيا غير الأنبياء قد تكذب وقد تصدق، ولا يقطع على صحة شيء منها إلا بعد ظهور صحته، أما رؤيا الأنبياء فإنها كلها وحي مقطوع على صحته.

١ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥ ، ص ١٢٤ .

٢ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥ ، ص ١٢٤ .

٣ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥ ، ص ١٢٤ .

٤ انظر تخريج الحديث في الصفحة السابقة.

قال رحمه الله: "وقد تصدق رؤيا لكافر ولا تكون حينئذ جزءاً من النبوة ولا مبشرات، ولكن انذاراً له أو لغيره ووعظاً وبالله تعالى التوفيق" (١).

١ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥ ، ص ١٢٤ .

المطلب الثاني: الفرق بين النبي والرسول

وللتفريق بين النبي والرسول يتحتم علينا أن نعرف الفرق بينهما لغة واصطلاحاً .:

١. النبي في اللغة اشتقاقه من نبأ بالهمز، أو من نبا بدون همز.

فإن كان اشتقاقه من المهموز، فيصير معنى النبيء: المخبر؛ لأنه يكون حينئذ مشتق من نبأ: بمعنى أخبر . وهذا المعنى صادق على من اشتهر بهذا الاسم ؛ لإنبائه عن الله تعالى.

كذلك النبيء: هو الطريق، وهذا المعنى صادق على من اشتهر بهذا الاسم؛ لأن الأنبياء هم طرق الهدى^(١).

وإن كان اشتقاقه من غير المهموز، فيكون معنى النبي : الرفيع القدر؛ لأنه يكون حينئذ مشتق من نبا: بمعنى ارتفع، ومن النبوة بمعنى الإرتفاع، وهذا المعنى صادق على من اشتهر بهذا الاسم ؛ لعلو شأنه وسطوع برهانه، فهو الرفيع القدر من الخلق^(٢).

والراجح أن النبي مأخوذ من الإنباء، وأن الأصل فيه الهمز، كما رجح ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية ، عازياً ذلك الترجيح لأسباب:

^١ ابن منظور: لسان العرب، ج ١، ص ١٦٢ . وانظر محمد مرتضى : تاج العروس، ج ١، ص ٤٤٨.

^٢ انظر ابن منظور: لسان العرب، ج ١، ص ١٦٢، ١٦٣. وانظر عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي: المواقيف، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، ط ١، دار الجليل، لبنان - بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ج ٣، ص ٣٣١-٣٣٢.

السبب الأول: الأصل أن النبي مهموز، وإنما لينت همزته على وجه الجواز والاختيار بسبب كثرة استعماله، كما فُعل مثل ذلك في البرية والذرية^(١). وأيضاً مما يدل على أن الأصل في النبي الهمز التصريف^(٢) فإن تصريفه أنبأ ونبأ وينبئ بالهمزة، ولم يستعمل فيه نبا ينبو، وإنما يقال: هذا ينبو عنه، والماء ينبو عن القدم إذا كان يجفو عنها، ويقال النبوة وفي فلان نبوة عنا أي مجانية، فيجب القطع بأن النبي مأخوذ من الإنباء لا من النبوة والله أعلم^(٣).

السبب الثاني: الهمزة أقوى من حرف اللين لأنها أشرف منه^(٤).

السبب الثالث: النبي من النبوة بمعنى العلو بدون همز معناه: المَعْلَى رفيع المنزل، وهذا المعنى داخل في معنى النبي بالهمز. ومعلوم أن معنى النبي بالهمز: المخبر بالغيب عن الله. فمن أنبأه الله وجعله منبئاً عنه، لا يكون إلا رفيع القدر علياً، وأما لفظ العلو والرفعة فلا يدل على خصوص النبوة؛ لأنه يوصف به من ليس بنبي^(٥) قال تعالى: [ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون]^(٦)، ولكأنني بالإمام ابن تيمية رحمه الله يريد أن يقول: واشتقاق اللفظ من أصل يُمَكِّن من استعماله استعمالاً أوسع، أفضل من قصره على أصل يمنع من ذلك عند الاستعمال، وهذا صحيح بلا شك.

^١ انظر ابن تيمية: النبوات ج ٢، ص ٨٨١. وانظر ابن منظور: لسان العرب، ج ١، ص ١٦٢.

^٢ انظر ابن تيمية: النبوات ج ٢، ص ٨٨٣.

^٣ انظر ابن تيمية: النبوات ج ٢، ص ٨٨٢.

^٤ انظر ابن تيمية: النبوات ج ٢، ص ٨٨٢.

^٥ سورة آل عمران الآية ١٣٩.

السبب الرابع: قراءة الإمام نافع للنبي بالهمز، قاطعة بأن أصل اشتقاق النبي الهمز (١) .

وهذا المعنى اللغوي للنبي يلقي شعاعاً على المعنى الاصطلاحي، الذي سنتطرق إليه فيما بعد إن شاء الله تعالى (٢) .

٢. الرسول في اللغة: مشتق من الفعل أرسل، والمصدر إرسالاً.

والإرسال لفظ عام، يشمل إرسال الرسل من البشر، وإرسال غيرهم كإرسال الريح، وإرسال الملائكة، وإرسال الشياطين، وغير ذلك مما يرسله الله تعالى (٣).

أما إرسال الرسل من البشر فلا يكون إلا خيراً؛ لأن الله يرسلهم إلى البشر مبشرين ومنذرين، وكل ذلك إرسال لهم لما فيه مصلحتهم وسعادتهم في الدارين.

وأما إرسال الرسل من غير البشر، كإرسال الملائكة فقد يكون خيراً وقد يكون شراً بالنسبة للمرسل له من البشر، فمثلاً أرسل الله الملك لمريم ليبشرها بقوله [إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا] (٤) ، كما أرسل سبحانه الملائكة بالعذاب لقوم لوط كما في قوله تعالى [قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ لُوطٍ] (٥)، وأرسل الله الرياح لواقع تلحق السحاب قال تعالى [وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ] (٦) فهذا

١ انظر ابن تيمية: النبوات ج ٢ ، ص ٨٨١ ، ٨٨٢ .

٢ انظر ص ١١٥ .

٣ انظر ابن تيمية: النبوات ج ٢ ، ص ٧٢٠ فما بعدها.

٤ سورة مريم الآية ١٩ .

٥ سورة هود الآية ٧٠ .

٦ سورة الحجر الآية ٢٢ .

إرسال لها بالخير ، وأرسل الله الريح بالعذاب إلى عاد قوم هود فأهلكتهم [وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ] (١)، فهذا الإرسال هو شر إلى عاد.

ولقد تتبعت لفظ الإرسال في القرآن فوجدت حروف الجر التي تأتي بعده هي إلى ، وفي ، والباء، وعلى. ووجدت الحروف الثلاثة الأولى هي التي تأتي بعد ذكر الرسل من البشر، وأما حرف الجر (على) فلم يذكر في القرآن بعد ذكر الرسل من البشر، بل لم يذكر في القرآن إلا مقروناً بالعذاب والشر.

والإرسال له معان في اللغة، فمن معانيه: الإِطْلَاقُ والتَّخْلِيَةُ والإِهْمَالُ والتَّوَجِيهُ والتسليط والانبعاث والإتيان بالأمر على وجه الأناة والترفق.

قال في تاج العروس : "والإِرسَالُ : التَّسْلِيْطُ وبه فُسِّرَ قوله تعالى : [أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَهُمَ أَرْأَوْا] (٢) : أَي سَلَطُوا عَلَيْهِمْ وَقَيَّضُوا لَهُمْ بِكُفْرِهِمْ.

ومن معاني الإِرسَال هنا : الإِطْلَاقُ والتَّخْلِيَةُ و الإِهْمَالُ وهو قَرِيبٌ مِنَ الإِطْلَاقِ والتَّخْلِيَةِ . والإِرسَالُ أَيْضاً : التَّوَجِيْهُ وبه فُسِّرَ إِرْسَالُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْبِيَاءَهُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كَأَنَّهُ وَجَّهَ إِلَيْهِمْ أَنْ أَنْذَرُوا عِبَادِي قَالَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ (٣) .

والاسم من الإرسال : الرِّسَالَةُ (بالكسر والفتح)، والرَّسِيلُ، والرَّسُولُ وهو بمعنى المُرْسَل (٤).

١ سورة الذاريات الآية ٤١.

٢ سورة مريم الآية ٨٣.

٣ انظر محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ج ٢٩ ، ص ٧٢. بتصرف يسير.

٤ انظر محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، ج ٢٩ ، ص ٧٢ ، ٧٣.

"قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ فِي قَوْلِ الْمُؤَدِّنِ : أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ : أَعْلَمُ وَأُبَيِّنُ أَنَّ مُحَمَّدًا مُتَابِعُ الْإِخْبَارِ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَالرَّسُولُ مَعْنَاهُ فِي اللُّغَةِ : الَّذِي يُتَابِعُ أَخْبَارَ الَّذِي بَعَثَهُ أَخْذًا مِنْ قَوْلِهِمْ : جَاءَتْ الْإِبِلُ رَسُولًا أَيَّ مُتَابِعَةً" (١) .

٣. معنى النبي اصطلاحاً: علمنا مما سبق أن معنى النبي في اللغة مأخوذ من الإنباء، فالنبي ينبئه الله بغيث ، ولا يبعد المعنى الاصطلاحي كثيراً عن المعنى اللغوي، فكل من تكلم عن المعنى الاصطلاحي متفق على أن النبي ينبئه الله بالغيث عن طريق الوحي.

وإنما اختلفت عباراتهم في التعريف الاصطلاحي بحسب ما نظروا إليه حين التعريف، فبعضهم نظر في بعض الصفات المتعلقة بالأنبياء من حيث هل الأنبياء كلهم ذكور أم فيهم إناث؟ ومن حيث هل الأنبياء من الإنس فقط أم أن هنالك أنبياء من الجن؟ وهل يشترط في النبي الحرية والبلوغ والعقل؟ وهل يشترط فيه كونه مائتاً (٢) وكونه من أهل القرى؟

والتحقيق أن النبي : انسان حر ، بالغ ، عاقل ، مصيره الموت كسائر البشر لقوله تعالى {وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ} (٣) ، ولا يشترط كونه من أهل القرى. وليس من الجن نبي، ولا من الملائكة، وهذه الأمور قل الاختلاف فيها، والحق فيها ما ذكرناه وهو بين إن شاء الله (٤)، أما كون النبي من الذكور وأنه لا توجد نبيه فقد نازع

١ انظر محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، ج ٢٩، ص ٧٣ .

٢ يعني مصيره الموت كبقية البشر.

٣ سورة الأنبياء الآية ٣٤ .

٤ انظر د. أحمد بن ناصر بن محمد آل حمد: النبي والرسول، مطابع الصفا بمكة المكرمة، ط ١، ١٤١٤ هـ، ص ٢٣ ، ٤٤ .

فيها الإمام ابن حزم وقال بوجود النبوة في النساء، وسيأتي إن شاء الله تفصيل ذلك.

وبعضهم نظر إلى طريق الوحي، وبعضهم نظر إلى الموحى به، وبعضهم نظر إلى الموحى إليه، وبعضهم نظر إلى حال المخاطبين بالوحي . كل ذلك حتى لا يلتبس معنى النبي بغيره أو حتى لا يلتبس معنى النبي بمعنى الرسول . وقد كثرت الاختلافات في هذه الأمور، وسوف نشير إلى ما سبق بشيء من التفصيل إن شاء الله بعد استعراض بعض التعريفات للنبوة لمجموعة من علمائنا رحمهم الله.

ولو أخذنا ننتبع كل التعريفات التي وصلت إلينا ممن عرف النبوة اصطلاحاً، لطال بنا المقام، لكن حسبنا من ذلك أن نتعرض لتعريف النبوة في الاصطلاح عند الإمام ابن حزم، ومقارنته بما ترجح لدينا من تعريف النبوة اصطلاحاً، مع ذكر أسباب الترجيح.

عرف الإمام ابن حزم النبوة اصطلاحاً انطلاقاً من التعريف اللغوي قائلاً: "فمن أعلمه الله عز وجل بما يكون قبل أن يكون، أو أوحى إليه منبأً له بأمر ما فهو نبي بلا شك" (١). ثم فصل مبيناً معنى الوحي وكيفيته فقال: "بل الوحي الذي هو النبوة: قصد من الله تعالى إلى إعلام من يوحى إليه بما يعلمه به، ويكون عند الموحى به إليه حقيقة خارجة عن الوجوه المذكورة (٢)، يحدث الله عز وجل لمن أوحى به إليه علماً ضرورياً بصحة ما أوحى به كعلمه بما أدرك بحواسه وبديهة عقله سواء سواء، لا مجال للشك في شيء

١ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥ ، ص ١١٩ .

٢ ويقصد بالوجوه المذكورة الإلهام الذي هو طبيعة، والظن والتوهم ، و الكهانة، والتنجيم ، والرؤيا التي لا يدري أصدقت أم كذبت. ابن

حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥ ، ص ١٢٤ ، ١٢٥ .

منه، إما بمجيء الملك إليه به، وإما بخطاب يخاطب به في نفسه، وهو تعليم من الله تعالى لمن يعلمه دون وساطة معلم^(١).

ويؤكد الإمام ابن حزم أن الأصل في النبوة أن تكون بإخبار ملك وبوحي صادق، قال رحمه الله: "وإنما تكون النبوة بإخبار الملك، وبوحي صادق ولا سبيل لغيره إلى الوصول إلى مثله إلا من خصه الله عز وجل بذلك بدون أن يكون للذي نبئ في ذلك عمل، وإنما هي أن يكون المرء يعلمه الله تعالى علوماً يعلمها بها دون أن يتعلمها ولا يكتسبها، فهذه حقيقة النبوة"^(٢).

٤. تعريف الرسالة اصطلاحاً مع الكلام على الفرق بين النبي والرسول
أشرنا فيما سبق أن النبي لا يكون إلا رجلاً من الإنس، بينما الرسول قد يكون من الإنس و قد يكون من الملائكة؛ لقوله تعالى: [الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس]^(٣)، وهذا يتطلب الدقة في تعريف الرسول حتى يكون التعريف مانعاً جامعاً، بحيث يكون هذا التعريف مختصاً بتعريف الرسول البشري، محددًا وبدقة الفرق بينه وبين النبي.

ولقد كثر الكلام في تعريف الرسالة، وحصل فيه التمهيص بين العلماء، وردوا على التعريفات التي لم تكن جامعة أو مانعة حتى حكم الإمام الغزالي بأن الرسالة: "لا تقتنص بالحد والحقيقة بذكر جنسها وفصلها، حيث إن إعطاء الحدود صعب عسر على الأذهان"^(٤).

^١ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥ ، ص ١٢٥ .

^٢ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم : الأصول والفروع لابن حزم الأندلسي ، تحقيق الدكتور محمد عاطف العراقي وزملاؤه ، دار النهضة العربية، ط١ ، ١٩٧٨م ، ج ٢ / ٢٧٥ ص ٢٧٦ .

^٣ سورة الحج ٧٥ .

^٤ أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي : معارج القدس في مدارج معرفة النفس، دار الكتب العلمية، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ.

وقد جنحت إلى دمج الكلام على تعريف الرسول مع الكلام على الفرق بين النبي والرسول بعداً عن التطويل الممل، وطلباً للاختصار غير المخل.

فأقول: جنح بعض العلماء إلى أنه لا يوجد فرق بين النبي والرسول، منهم القاضي عبد الجبار، والماوردي، والإمام الجويني، والآمدي، والإيجي، والتفتازاني في أحد تعريفيه؛ ولبعد تأويلاتهم، وخشية من الإطالة، فقد ضربت صفحاً عن ذكر أدلتهم (١).

وإذا تركنا جانباً التأويلات البعيدة، يمكننا بسهولة الوصول إلى صحة القول بالفرق بين النبي والرسول، فمن الأدلة القرآنية على التفريق بينهما قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكُمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} (٢)، ومعلوم أن واو العطف تقتضي المغايرة، فهذا من باب عطف العام على الخاص (٣)، فدل ذلك على أن الرسول غير النبي.

وأيضاً قوله تعالى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ} (٤)، و قوله تعالى: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً} (٥)، و قوله تعالى: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً} (٦)، ففي هذه الآيات

١ ولمعرفة أدلتهم مع الرد عليها انظر د. أحمد بن ناصر آل حمد : النبي والرسول،، مطابع الصفا بمكة المكرمة، ط ١، ١٤١٤ هـ، ص ٥١ . ٤٨ .

٢ سورة الحج الآية ٥٢ .

٣ انظر أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تأليف، دار إحياء التراث العربي ، ج ١٧، ص ١٧٢ .

٤ سورة الأعراف الآية ١٥٧ .

٥ سورة مريم الآية ٥١ .

٦ سورة مريم الآية ٥٤ .

وصف الله تعالى رسولنا محمداً وموسى وإسماعيل عليهم الصلاة والسلام بالرسالة والنبوة معاً، ولو كان الرسول والنبي بمعنى واحد لعد ذلك حشواً، وكلام الله تعالى منزّه عن الحشو.

ومن أدلة السنة قوله صلى الله عليه وسلم للبراء بن عازب: "إِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ ثُمَّ قُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ إِلَيْكَ وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ وَاجْعَلْهُنَّ مِنْ آخِرِ كَلَامِكَ فَإِنْ مِتُّ مِنْ لَيْلَتِكَ مِتَّ وَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ «. قَالَ فَرَدَّدَتْهُنَّ لِأَسْتَذْكِرَهُنَّ فَقُلْتُ آمَنْتُ بِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ قَالَ « قُلْ آمَنْتُ بِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ " (١). فقوله صلى الله عليه وسلم "وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ" صريح في التفريق بين الرسول والنبي؛ لأن فيه إشارة إلى أنه كان نبياً قبل أن يكون رسولاً (٢)، وأيضاً رد الرسول على البراء بن عازب عندما قال: "آمَنْتُ بِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ" فيه دليل على الفرق بين الرسول والنبي من وجوه منها:

الوجه الأول: لو لم يكن هنالك فرق لما رد عليه الرسول صلى الله عليه وسلم.

الوجه الثاني: قول البراء: [آمَنْتُ بِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ] ، فيه تكرار لذكر الرسالة، كما أن الملك داخل في هذا اللفظ، إذ أنه رسول بدليل قوله

١ (مسلم) مسلم بن الحجاج : صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع ، ج٤، ص ٢٠٨١ ، (٢٧١٠) .

٢ انظر ابن حجر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ج١، ص٣٥٨ .

تعالى: [الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس] (١)، لكن قول النبي صلى الله عليه وسلم: [وَبَيْنَكَ الَّذِي أَرْسَلْتُ] لا يحتمل غيره بعد مبعثه، فأراد النبي صلى الله عليه وسلم برده على البراء التأكيد على هذا الفرق.

ودليل آخر من السنة على التفريق بين الرسول والنبي وهو الفاصل في هذه المسألة، فعن أبي أمامة أن أبا ذر قال : " قلت يا نبي الله فأَيُّ الأنبياء كان أول، قال: آدم عليه السلام، قال: قلت يا نبي الله أو نبي كان آدم، قال: نعم نبي مكلم خلقه الله بيده، ثم نفخ فيه روحه، ثم قال له يا آدم قبلاً قال: قلت يا رسول الله كم وفاء عدة الأنبياء، قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، الرسل من ذلك ثلاث مائة وخمسة عشر جما غفيرا " (٢).

قال عنه الشيخ الألباني صحيح (٣).

وهذا صريح في أن عدد الأنبياء أكثر من عدد الرسل، وهذا بدوره يفسر القولة المشهورة والتي يكاد يتفق عليها جميع من فرق بين النبي والرسول وهي : أن كل رسول نبي ، وليس كل نبي رسولاً.

لكن يبقى السؤال المطروح : ما هو الفرق بين النبي والرسول؟

وللإجابة على هذا السؤال إليك بطائفة من التعريفات التي ساقها العلماء في التفريق بينهما:

١ سورة الحج ٥٧ .

٢ (أحمد)، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني : مسند أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة ، مصر ، ج ٥، ص ٢٦٥، (٢٢٣٤٢) . صححه الألباني. انظر محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي : مشكاة المصابيح، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي ، بيروت ط ٣ ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، ج ٣ ، ص ٢٤٦، برقم (٥٧٣٧)، [٤٠] .

٣ انظر محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي : مشكاة المصابيح، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ج ٣ ، ص ٢٤٦ .

١. قال الإمام ابن حزم: "معنى النبوة: أن ينبيء الله . عز وجل . من يشاء من عباده بوحى يعلمه به ما يكون قبل أن يكون، وتفسير الرسالة: هو أن يرسل الله من يشاء من عباده بما شاء على من شاء من خلقه" (١). وقال أيضاً: "والنبوة هي الوحي من الله تعالى بأن يعلم الموحى إليه بأمر ما يعلمه، لم يكن يعلمه قبل، والرسالة هي النبوة وزيادة وهي بعثته إلى خلق ما بأمر ما هذا ما لا خلاف فيه" (٢).

٢. قال البيضاوي في تفسيره: "الرسول من بعثه الله بشريعة مجددة يدعو الناس إليها، والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شرع سابق كأنبيا بني إسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهم السلام" (٣).

٣. قال الألوسي: "وقيل : الرسول ذكر حر، بعثه الله إلى قوم بشرع جديد بالنسبة إليهم وإن لم يكن جديداً في نفسه، كإسماعيل عليه السلام إذ بعث لجرهم أولاً، والنبي يعمه ومن بعث بشرع غير جديد كذلك" (٤).

٤. قال الألوسي: "وقيل : الرسول ذكر حر، له تبليغ في الجملة وإن كان بياناً وتفصيلاً لشرع سابق، والنبي من أوحى إليه ولم يؤمر بتبليغ أصلاً، أو أعم منه ومن الرسول" (٥).

١ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم: كتاب الدرة فيما يجب اعتقاده ، دراسة وتحقيق: د. أحمد بن ناصر بن محمد آل حمد، د. سعيد بن عبد الرحمن بن القرقي، مكتبة التراث مكة المكرمة مطبعة المدني، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م، ص ٣٨٠ ، ٣٨١.

٢ علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد: المحلى ، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي ، دار الآفاق الجديدة - بيروت، ج ١، ص ٥٠.

٣ ناصر الدين أبو الخير عبدالله بن عمر بن محمد البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، دار الفكر ، بيروت، ج ٤، ص ١٣٣.

٤ أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج ١٧ ، ص ١٧٢، ١٧٣.

٥ أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج ١٧ ، ص ١٧٣.

٥. يقول عبد القاهر البغدادي: "النبي: من أتاه الوحي من الله عز وجل ونزل عليه الملك بالوحي، والرسول من يأتي بشرع على الابتداء، أو بنسخ بعض أحكام شريعة قبله، كل رسول لله عز وجل نبي، وليس كل نبي رسولاً" (١).

٦. قال الزمخشري في الكشف: "الرسول من الأنبياء من جمع إلى المعجزة كتاباً منزلاً عليه، والنبي غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب، وإنما أمر أن يدعو الناس إلى شريعة من قبله" (٢).

٧. قال الألوسي: "وقيل: الرسول من له كتاب أو نسخ في الجملة، والنبي من لا كتاب له ولا نسخ" (٣).

٨. وذكر الألوسي أنه قيل في تعريف الرسول أنه: "من يأتيه الملك عليه السلام بالوحي يقظة، والنبي يقال له ولمن يوحى إليه في المنام لا غير" (٤). قال: "وهذا أغرب الأقوال، ويقتضي أن بعض الأنبياء عليه السلام لم يوح إليه إلا مناماً وهو بعيد، ومثله لا يقال بالرأي" (٥).

٩. نقل القرطبي عن الفراء قوله "الرسول الذي أرسل إلى الخلق بإرسال جبريل عليه السلام إليه عياناً، والنبي الذي تكون نبوته إلهاماً أو مناماً، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً" (٦). وقال الفراء أيضاً: "الرسول: النبي المرسل، والنبي: المحدث الذي لم يرسل" (٧).

١ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي: أصول الدين، مطبعة الدولة، استانبول، ط ١، ١٣٤٦، ص ١٥٤.

٢ أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي: الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ج ٣، ص ١٦٥.

٣ أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج ١٧، ص ١٧٣.

٤ أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج ١٧، ص ١٧٣.

٥ أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج ١٧، ص ١٧٣.

٦ أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي: الجامع لاحكام القرآن، ج ١٢، ص ٨٠.

٧ أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، ط ٢، ١٩٨٠م، ج ٢، ص ٢٢٩.

١٠. وعرف الجرجاني الرسول بأنه: إنسان بعثه الله إلى الخلق لتبليغ الأحكام^(١). وعرف النبي بأنه: من أوحى إليه بملك، أو ألهم في قلبه، أو نبه بالرؤيا الصالحة^(٢).

قال: " فالرسول أفضل بالوحي الخاص الذي فوق وحي النبوة، لأن الرسول هو من أوحى إليه جبرائيل خاصة بتنزيل الكتاب من الله"^(٣).

١١. قال القرطبي: " النبي عند عقلاء أهل الشرائع: إنما هو: حيوان ناطق مائت كامل في نوعه مخبر عن الله تعالى بحكم إما مشافهة وإما بواسطة ملك أو ما تنزل منزلته"^٤. ثم شرح ما سبق ثم قال: "فإذا تقرر أن حقيقة النبوة ما ذكرناه، وأن فضله الخاص به هو ما تحصل له من الأخبار عن الله، فذلك الخبر إن أمر النبي بتبليغه لغيره فذلك النبي هو الذي يقال عليه رسول، والرسالة هو الكلام المبلغ عن الله، فلأجل هذا يصح أن يقال كل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً"^(٥).

١٢. قال في الفقه الأكبر: " الرسول هو صاحب الشريعة، والأنبياء على شرائع تلك الرسل، وكل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً"^(٦).

^١ علي بن محمد بن علي الجرجاني : التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، ط ١ ، بيروت ، ١٤٠٥هـ ، ج ١ ، ص ٣٠٧.

^٢ علي بن محمد بن علي الجرجاني : التعريفات، ج ١ ، ص ٣٠٧.

^٣ علي بن محمد بن علي الجرجاني : التعريفات، ج ١ ، ص ٣٠٧.

^٤ محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله : الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، تحقيق: د. أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي ، القاهرة ، ١٣٩٨هـ ، ج ١ ، ص ٢٣٧ .

^٥ محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله : الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ج ١ ، ص ٢٣٨ .

^٦ أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي: الفقه الأكبر في التوحيد، ، المطبعة الأدبية الأزيكية، ط ١ ، ص ٢٨ .

١٣. يقول ابن أبي العز الحنفي: "مَنْ نَبَّأَهُ اللَّهُ بِخَبَرِ السَّمَاءِ ، إِنَّ أَمْرَهُ أَنْ يُبَلِّغَ غَيْرَهُ ، فَهُوَ نَبِيٌّ رَسُولٌ ، وَإِنْ لَمْ يَأْمُرْهُ أَنْ يُبَلِّغَ غَيْرَهُ ، فَهُوَ نَبِيٌّ وَلَيْسَ بِرَسُولٍ" (١).

١٤. يقول التفتازاني "النبي إنسان بعثه الله لتبليغ ما أوحى إلي وكذا الرسول وقد يخصص بمن له شريعة وكتاب فيكون أخص من النبي، واعترض بما ورد في حديث من زيادة عدد الرسل على عدد الكتب فقل: هو من له كتاب أو نسخ لبعض أحكام الشريعة السابقة والنبي قد يخلو عن ذلك كيوشع عليه السلام ، وفي كلام بعض المعتزلة أن الرسول صاحب الوحي بواسطة الملك والنبي هو المخبر عن الله تعالى بكتاب أو إلهام أو تنبيه في المنام" (٢).

١٥. نقل الألوسي عن صاحب الكشف "أن النبي هو الذي ينبيء عن ذاته تعالى وصفاته وما لا تستقل العقول بدرايته ابتداء بلا واسطة بشر ، والرسول هو المأمور مع ذلك باصلاح النوع ، فالنبوة نظر فيها إلى الإنبياء عن الله تعالى والرسالة إلى المبعوث إليهم، والثاني وإن كان أخص وجودا إلا أنهما مفهومان مفترقان؛ ولهذا لم يكن رسولا نبيا مثل إنسان حيوان" (٣).

١٦. قال في تدريب الراوي: "والأشهر في معنى الرسول أنه إنسان أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه، فإن لم يؤمر فنبي فقط وممن جزم به الحلبي، وقيل:

١ خالد فوزي عبد الحميد حمزة: تقريب وترتيب شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، دار المجد ، جدة، ط ٢، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢ م، ج ٢، ص ٧٧٨ .

٢ سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني : شرح المقاصد في علم الكلام ج ٢، ص ١٧٣، دار المعارف النعمانية ، باكستان، ط ١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ج ٢، ص ١٧٣ .

٣ أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، روح المعاني ج ٩، ص ٧٩.

وكان معه كتاب أو نسخ لبعض شرع من قبله، فإن لم يكن فنبي فقط وإن أمر بالتبليغ" (١).

١٧. عرف اللقاني في شرح الجوهرة النبوة بأنها: "إحياء الله تعالى للإنسان عاقل حر ذكر بحكم شرعي تكليفي سواء أمر بتبليغه أم لا، كان معه كتاب أم لا، كان له شرع متجدد أم لا، كان له نسخ لشرع من قبله أو بعضه أم لا، وكذا الرسالة إلا في اشتراط التبليغ، فإنه لا بد منه في مفهومها" (٢).

١٨. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "فالنبي هو الذي ينبئه الله وهو ينبئ بما أنبأ الله به فإن أرسل مع ذلك الى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله اليه فهو رسول وأما اذا كان انما يعمل بالشرعية قبله ولم يرسل هو الى أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبي وليس برسول" (٣).

والمتأمل في التعريفات السابقة يجد:

أ. أن بعض المفرقين نظر إلى طريق الوحي: هل كان بواسطة ملك خاص أو مطلق؟ أو كان بالقذف في الروح؟ أو كان إلهاماً؟ أو صوتاً يسمعه النبي؟ أو رؤيا يراها؟ أو جمع له ذلك أو بعضه حتى تيقن بأنه مكلف بتلك النبوة وملزم بتحمل أعبائها؟ وبناء على ذلك فرق بين النبي والرسول (٤).

وأقول: من المؤكد ضعف القول القائل بأن الرسول من يأتيه الملك عليه السلام بالوحي يقظة، والنبي يقال له ولمن يوحى إليه في المنام لا غير ؛

٢ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ج ١، ص ٥٩.

٢ انظر د. أحمد بن ناصر بن محمد آل حمد: النبي والرسول، ص ٢١، ٢٢.

٣ ابن تيمية: النبوات، ج ٢، ص ٧١٤.

٤ انظر محمد ولد ألداه ولد محمد ولد الطالب عيسى: النبوة والرسالة بين الإمامين الغزالي وابن تيمية، دار طوق النجاة، ط ١، بيروت - لبنان، ص ٧٠، وانظر أيضاً النبي والرسول. د. أحمد بن ناصر بن محمد آل حمد ٦٨، ٨٣.

لأنه يقتضي أن بعض الأنبياء عليهم السلام لم يوح إليهم إلا مناماً وهو بعيد كما ذكر الألوسي^(١). ويحتاج إلى دليل.

ومن المؤكد أيضاً ضعف القول القائل بأن الرسول: هو من جاءه الملك بالوحي؛ لأن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام من غير وسيط، قال تعالى: [فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (١٣)]^(٢).

ب . وبعضهم نظر إلى الموحى به هل هو كتاب جديد أم أنه قديم لكن نسخت بعض أحكامه أو أضيف إليها الجديد من الأحكام؟

والذي نؤكد فيه هذا الجانب خطأ من اشترط أن يكون مع الرسول كتاب يبعثه الله به لأن أكثر الرسل لم يكونوا أصحاب كتاب مستقل كاسماعيل، ولوط ، وإلياس عليهم السلام. بل لم ينزل كتاب مستقل إلا التوراة والإنجيل كما قال بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى^(٣). والمتيقن أن عدد الرسل أكثر من عدد الكتب^(٤).

وكذلك نؤكد خطأ من جعل من شرط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة، فالابن تيمية رحمه الله "وليس من شرط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة فإن يوسف كان رسولاً وكان على ملة إبراهيم. وداود وسليمان كانا رسولين وكانا على شريعة التوراة"^(٥).

^١ أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج ١٧ ، ص ١٧٣ .

^٢ سورة طه الآيات ١١، ١٢، ١٣ .

^٣ ابن تيمية: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ج ٥ ، ٣١٥ .

^٤ انظر سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني : شرح المقاصد في علم الكلام ج ٢، ص ١٧٣ .

^٥ ابن تيمية : النبوات، ج ٢ ، ص ٧١٨ .

وقد أكد الإمام الرازي أن إسحاق ويعقوب وأيوب ويونس وهارون وداود وسليمان ما جاءوا بكتاب ناسخ (١)، فيلزم من قال بوجوب النسخ للرسول، أن يخرج هؤلاء المذكورين من جملة الرسل!

ج . وبعضهم نظر إلى المطلوب من الموحى إليه بعد أن يوحى إليه، هل هو مأمور بتبليغ ذلك الغيب الذي أوحاه الله إليه ولابد، أم لا يشترط ذلك؟

والقول الذي أراه في هذا الجانب . والله أعلم . أن الرسول هو من أوحى إليه مع الأمر بالتبليغ لقوم كفار يخالفونه في الوحي المأمور بتبليغه إليهم ، والنبي أيضاً يبلغ، ولكنه يبلغ على وجه الأمر بالمعروف والدعاء للخير والنهي عن المنكر؛ لأنه يبلغ قومه ويأمرهم وينهاهم بما يعرفونه، فهو فيهم كالعالم، فأول الرسل نوح عليه السلام، وأول الأنبياء آدم عليه السلام فقد كان نبياً مكلفاً، وقد دلت آيات القرآن على أن الدين كان معروفاً في زمن آدم وأن الجزاء كان معلوماً لهم(٢).

د . وبعضهم نظر إلى حال المخاطبين بالوحي هل هم مشركون مكذبون لا يعرفون ما يدعوهم إليه نبيهم، أم هم يعرفون ما يدعوهم إليه نبيهم؛ لأنهم يعرفون أصل التوحيد لكنهم متكاسلون عن الطاعات مرتكبون للمخالفات؟

وهذا الملحظ دقيق، تنبه له شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ، ومنه ومن الذي قبله يمكن الوصول إلى الفرق الدقيقة بين الرسول والنبي مع السلامة من الاعتراضات.

١ فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م، ج ٢٣ ، ص ٤٣ ، ٤٤ .

٢ من ذلك على سبيل المثال الآيات الواردة في قصة هابيل وقايل في سورة المائدة ٢٧ . ٢٩ . ففيها التصريح بمعرفة التقوى ، والخوف من الله رب العالمين، ومعرفة لحاق الإنم بالقاتل، وأن جزاء الظالم النار.

وقد وضح ابن تيمية رحمه الله الفرق بين النبي والرسول، وهو أن كليهما موحى إليه بشرع، لكن الرسول هو الذي أمره الله بتبليغ رسالته إلى من خالف الله كنوح عليه السلام. والنبي مرسل بدليل قوله تعالى: [وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ] (١)، ولكن لا يسمى رسولا عند الإطلاق؛ لأنه لم يرسل إلى قوم بما لا يعرفونه، بل كان يأمر المؤمنين بما يعرفونه أنه حق. كأنبياء بني إسرائيل يأمرهم بشريعة التوراة وقد يوحى إلى أحدهم وحي خاص في قصة معينة. كالعالم الذي يعلم من كان معه في ملته أمور الدين (٢)؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن العلماء هم ورثة الأنبياء إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر" (٣).

فيكون التعريف الصحيح للنبي في نظري هو: أن النبي إنسان حر ذكر أوحى إليه بشرع، ليعمل به ويدعو إليه من كان معه على ذلك الشرع، ولم يرسل إلى من خالف أمر الله ليبيلغه رسالة من الله إليه.

والرسول من البشر هو: إنسان حر ذكر أوحى إليه بشرع، ليعمل به ويدعو إليه من كان معه على ذلك الشرع، وأرسل إلى من خالف أمر الله ليبيلغه رسالة من الله إليه. والله أعلم.

ومن إجابيات هذا التعريف:.

١. إخراج الملائكة والجن من الدخول في جملة الأنبياء.

١ سورة الحج الآية ٥٢ .

٢ ابن تيمية : النبوات، ج ٢ ، ص ٧١٤ ، ٧١٨ .

٣ (ابن ماجه) محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني: سنن ابن ماجه ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر ، بيروت ، المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ، ج ١ ، ص ٨١ ، (٢٢٣) . وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ، انظر محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني: صحيح سنن ابن ماجه ، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني ج ١ ، ص ٤٣ ، (٢١٩) ، [١٨٢] .

٢ . إشتراط أن يكون وحي الأنبياء وحياً بشرع، فلا يدخل في هذا التعريف الصالحون والصالحات غير الأنبياء .

٣ . عدم تقييد طريق نزول الوحي تمشياً مع النصوص الدالة على تعدد طرق نزوله .

وبالجملة السلامة من كثير من الإعتراضات التي وجهت لبعض التعريفات، كالتى اشترطت للرسول وجوب مجيئه بالنسخ أو الشريعة الجديدة أو الكتاب المستقل، أو غير ذلك من القيود غير الصحيحة.

واختم هذا المطلب قائلاً: مما يؤخذ على تفريق الإمام ابن حزم بين الرسالة والنبوة:.

أولاً : أنه عرف الرسالة بقوله: "وتفسير الرسالة: هو أن يرسل الله من يشاء من عباده بما شاء على من شاء من خلقه" (١)، وهذا التعريف غير مانع؛ لأنه يدخل فيه من لا يصح إرساله وهن النساء ، كما يدخل فيه الرسول من الملائكة.

ثانياً: أنه عرف النبوة بقوله "معنى النبوة: أن ينبىء الله . عز وجل . من يشاء من عباده بوحى يعلمه به ما يكون قبل أن يكون" (٢)، وهو تعريف أيضاً غير مانع؛ لأنها حينئذ تثبت عنده بمطلق الوحي، لأي موحى إليه وبأي موحى به، فيدخل في تعريفه الملك، بل وكل من أوحى إليه من صالحى البشر الذين هم ليسوا بأنبياء، بل ويدخل فيه الصالحات من النساء ممن أوحى إليهن بواسطة الملك إلهاماً كأما عيسى وأم موسى وأم اسحاق،

١ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم: كتاب الدرة فيما يجب اعتقاده ، ص ٣٨١ .

٢ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم: كتاب الدرة فيما يجب اعتقاده ، ص ٣٨٠ .

وهذا فيه خلاف كبير ، حان الوقت لنجليه، ونوضح وجه الحق الذي فيه إن شاء الله تعالى في المطلوب التالي...

المطلب الثاني: حجج ابن حزم في إثبات نبوة النساء .

الحجة الأولى: معني النبوة مأخوذ من الإنباء وهو الإعلام بالوحي، وقد حصل ذلك لأم موسى وأم عيسى وأم اسحاق عليهن السلام، فهن نبيات بنص القرآن.

ذكر ابن حزم أن المانعين لنبوة النساء ليس لهم حجة في المنع غير قوله تعالى: {وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم} (١).

قال ابن حزم رحمه الله: "هذا فصل لا نعلمه حدث التنازع العظيم فيه إلا عندنا بقرطبة في زماننا، فإن طائفة ذهبت إلى إبطال كون النبوة في النساء جملة وبدعت من قال ذلك.

وذهبت طائفة إلى القول بأنه قد كانت في النساء نبوة، وذهبت طائفة إلى التوقف في ذلك.

^١ سورة النحل الآية ٤٣ .

قال أبو محمد: ما نعلم للمانعين من ذلك حجة أصلاً، إلا أن بعضهم نازع في ذلك بقول الله تعالى "وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم" (١).

قال الإمام ابن حزم في الرد عليهم: "وهذا أمر لا ينازعون فيه ولم يدع أحد أن الله تعالى أرسل امرأة، وإنما الكلام في النبوة دون الرسالة، فوجب طلب الحق في ذلك بأن ينظر في معنى لفظة النبوة في اللغة التي خاطبنا الله بها عز وجل، فوجدنا هذه اللفظة مأخوذة من الإنباء وهو الإعلام، فمن أعلمه الله عز وجل بما يكون قبل أن يكون أو أوحى إليه منبئاً له بأمر ما فهو نبي بلا شك" (٢).

لقد اعتمد الإمام ابن حزم في تعريف النبوة في الاصطلاح على اللغة، فقال بنبوة النساء ، ذلك لأن النبوة عنده تثبت بمجرد الوحي، لأي موحى إليه.

ولما أحس الإمام ابن حزم أن هذا التعريف غير مانع بادر إلى القول بأن الوحي الوارد في القرآن بشأن أم موسى وأم عيسى وأم اسحاق، ليس هو: "من باب الإلهام الذي هو طبيعة كقول الله تعالى: {وأوحى ربك إلى النحل} (٣)، ولا من باب الظن والتوهم الذي لا يقطع بحقيقته إلا مجنون، ولا من باب الكهانة التي هي من استراق الشياطين للسمع من السماء فيرمون بالشهب الثواقب، وفيه يقول الله تعالى: "شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً" (٤). وقد انقطعت الكهانة بمجيء

١ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥ ، ص ١١٩ .

٢ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥ ، ص ١١٩ .

٣ سورة النحل الآية ٦٨ .

٤ سورة الأنعام الآية ١١٢ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولا من باب النجوم التي هي تجارب تتعلم، ولا من باب الرؤيا التي لا يدري أصدقت أم كذبت" (١).

ثم بدأ رحمه الله يجعل قيوداً لهذا الوحي تتمثل في الآتي:

١ . أن يكون هذا الوحي مقصوداً به الموحى إليه على وجه التعيين، وبحيث يكون هذا الوحي عند الموحى به إليه حقيقة خارجة عن الوجوه المذكورة، أي ليس من باب الظنون ولا الإلهام ولا من باب الكهانة ولا من باب الرؤية التي لا يدري أصدقت أم كذبت.

٢ . أن يوقن الموحى إليه علماً ضروريا بصحة الوحي النازل إليه وذلك بما يحدثه الله عز وجل من علم بذلك.

ثم حدد رحمه الله طريق ذلك العلم بصحة الوحي بطريقتين هما: مجيء الملك إليه بذلك الوحي، وخطاب يخاطب به في نفسه وهو تعليم من الله تعالى له دون وساطة معلم. (٢).

ثم جزم الإمام ابن حزم بنبوة أم إسحاق، ومريم ، وأم موسى عليهن السلام ، مستدلاً بخطاب الملائكة لهن في القرآن الكريم ، وبأن الوحي الذي ورد لأم موسى عليها السلام بإلقاء ولدها في اليم كالوحي الوارد على إبراهيم عليه السلام في الرؤيا في ذبح ولده، سواء بسواء، ولو لم تكن واثقة بأن الله سيرده عليها لكانت بإلقائها ولدها في اليم برؤيا تراها أو بما يقع في نفسها أو قام في هاجسها في غاية الجنون والمرار الهائج على حد تعبير ابن حزم (٣)، ومما استدل به على نبوة أم إسحاق عليها السلام قول الملائكة لها :

١ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥ ، ص ١١٩ ، ١٢٠ .

٢ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥ ، ص ١١٩ ، ١٢٠ .

٣ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥ ، ص ١٢٠ ، ١٢١ .

{أتعجبين من أمر الله..؟} (١) فجزم بن حزم بأنه لا يمكن ألبتة أن يكون هذا الخطاب من ملك لغير نبي بوجه من الوجوه (٢).

ومن أقوى القرائن التي ذكرها بن حزم والدالة على نبوة مريم عنده: أن الله تعالى ذكر مريم في جملة الأنبياء (٣) حيث قال سبحانه: {واذكر في الكتاب مريم} (٤)، ثم قال عز وجل: {أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح} (٥).

قال ابن حزم رحمه الله: "وهذا هو عموم لها معهم لا يجوز تخصيصها من جملتهم وليس قوله عز و جل: {وأمه صديقة} (٦) بمانع من أن تكون نبية فقد قال تعالى: {يوسف أيها الصديق} (٧) وهو مع ذلك نبي رسول وهذا ظاهر وبالله تعالى التوفيق" (٨).

^١ سورة هود الآية ٧٣ .

^٢ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥ ، ص ١٢٠ .

^٣ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥ ، ص ١٢٠ .

^٤ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥ ، ص ١٢١ .

^٥ سورة مريم الآية ٥٨ .

^٦ سورة المائدة ٧٥ .

^٧ سورة يوسف ٤٦ .

^٨ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥ ، ص ١٢١ .

الحجة الثانية : { كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون } (١).

ذكر بن حزم أن امرأة فرعون أيضاً نبية واستدل على نبوتها بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون " حيث فسر الكمال بالنبوة بل فسر كمالهما بتفضيلهما على سائر من أوتيت النبوة من النساء (٢).

والجدير بالذكر أن الإمام ابن تيمية وغيره من العلماء نقلوا الإجماع على أنه لم يكن في النساء نبية قال بن تيمية: " وقد حكى الإجماع على أنه لم يكن في النساء نبية غير واحد كالقاضي أبي بكر بن الطيب والقاضي أبي يعلى وأبي المعالي الجويني وخلاف ابن حزم شاذ مسبوق بالإجماع " (٣).

لكنني وجدت من نسب القول بنبوة النساء لأبي الحسن الأشعري قال ابن حجر في الفتح : "وقد نقل عن الأشعري أن من النساء من نبىء وهن ست حواء وسارة وأم موسى وهاجر وآسية ومريم والضابط عنده أن من جاءه الملك عن الله بحكم من أمر أو نهى أو بإعلام مما سيأتي فهو نبي وقد

^١ متفق عليه. (البخاري) محمد بن إسماعيل: الجامع الصحيح، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، كتاب فضائل الصحابة باب فضل عائشة رضي الله عنها، ج ٣، ص ١٢٧٤، (٣٥٥٨).

(مسلم)، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها، ج ٤، ص ١٨٨٦، (٢٤٣١). لكن لفظ مسلم غير مريم بنت عمران.

^٢ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥، ص ١٢١.

^٣ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية: كتاب الصغدية، ج ١، ص ١٩٨.

ثبت مجيء الملك لهؤلاء بأمور شتى من ذلك من عند الله عز وجل ووقع التصريح بالإيحاء لبعضهن في القرآن وذكر بن حزم في الملل والنحل أن هذه المسألة لم يحدث التنازع فيها إلا في عصره بقرطبة" (١)

وقال في موضع آخر في الفتح: "وقد نقل عن الأشعري أن في النساء عدة نبيات وحصرهن بن حزم في ست حواء وسارة وهاجر وأم موسى وآسية ومريم وأسقط القرطبي سارة وهاجر" (٢).

قلت: ولعل دعوى الإجماع على عدم النبوة في النساء من بن تيمية وغيره فيها نظر، لوجود الخلاف في ذلك، وسيأتي مزيد بيان في المطلب التالي إن شاء الله.

أما قول بن حجر بأن بن حزم حصر النبيات في ست وذكر منهن حواء وهاجر فقد وجدت ذكر نبوة حواء في كتابه الإحكام عندما قال: "وأما قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي ذكرنا أنفا إن نوحا أول الرسل إلى أهل الأرض ولا شك في آدم رسول الله عز وجل فإن معناه عندنا والله أعلم أن رسالة آدم عليه السلام إنما كانت لأهل السماء قائلا لهم عن الله عز وجل: {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (٣) ومنبئاً لهم بأسمائهم ومسلما عليهم على ما جاء في القرآن والحديث الصحيح وإنه لم يبعث إلى أهل الأرض أصلا

١ ابن حجر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٦ ، ص ٤٤٧ .

٢ ابن حجر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٦ ، ص ٤٧١ .

٣ سورة البقرة الآية ٣١ .

وأن أولاده وامراته أوحى إليهم التوحيد ثم بعث إلى كل طائفة نبي منها ثم بُعث نوح إلى قومه خاصة بشريعة" (١).

هذا القول من ابن حزم بنبوة آدم عليه السلام لأهل السماء دون أهل الأرض غريب جداً، وأغرب منه ادعاء ابن حزم النبوة لحواء عليها السلام ولأولادها!. وأغرب من ذلك ادعاء ابن حزم أن أدلة القرآن والسنة تأتلف بقوله هذا! (٢) وسنرى بعد حجج المانعين لنبوة النساء إن شاء الله تعالى وجه الصواب في نبوة النساء، هل كل ما ذكرهن ابن حزم نبيات؟ أم بعضهن؟ أم لا توجد نبوة في النساء أصلاً؟

المطلب الثالث : حجة المانعين لنبوة النساء وهي:

الإجماع على أنه لم يكن في النساء نبية، واستدلّاهم بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾ (٣).

قال أبو محمد: "وهذا أمر لا ينازعون فيه، ولم يدع أحد أن الله تعالى أرسل امرأة، وإنما الكلام في النبوة دون الرسالة" (٤).

قلت: أما الإجماع على أنه لم تكن في النساء نبية ففيه نظر؛ لأنه كما مر في المطلب السابق أن ابن حجر صرح في الفتح في أكثر من موضع أنه قد نقل عن الحسن الأشعري أن في النساء عدة نبيات (٥).

^١ علي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبو محمد: الإحكام في أصول الأحكام، دار الحديث، القاهرة، ط ١، ١٤٠٤ هـ، ج ٥، صفحة ١٧٣.

^٢ علي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبو محمد: الإحكام في أصول الأحكام، ج ٥، صفحة ١٧٣.

^٣ سورة النحل الآية ٤٣.

^٤ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥، ص ١٩٩.

^٥ ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٦، ص ٤٧١، ٤٧٣، ٤٧٣.

خاصة إذا ما أضفنا إلى ما نقله ابن حجر عن أبي الحسن الأشعري . بأن من النساء من نبىء . ما ذكره الألوسي في كتابه روح المعاني حيث قال: "ومن الناس من استدل على عدم استنباء النساء بالإجماع وبقوله تعالى : وما أرسلنا قبلك إلا رجالا ولا يخفى ما فيه:

أما أولاً: فلأن حكاية الإجماع في غاية الغرابة فان الخلاف في نبوة نسوة كحواء وآسية وأم موسى وسارة وهاجر ومريم موجود خصوصا مريم فان القول بنبوتها شهير بل مال الشيخ تقي الدين السبكي في الحلبيات وابن السيد إلى ترجيحه وذكر أن ذكرها مع الأنبياء في سورتهم قرينة قوية لذلك.

وأما الثانية: فلأن الاستدلال بالآية لا يصح لأن المذكور فيها الإرسال، وهو أخص من الاستنباء على الصحيح المشهور، ولا يلزم من نفي الأخص نفي الأعم فافهم" (١) .

وقد قال القرطبي في تفسيره: "والصحيح أن مريم نبية؛ لأن الله تعالى أوحى إليها بواسطة الملك كما أوحى إلى سائر النبيين حسب ما تقدم ويأتي بيانه أيضا في مريم، وأما آسية فلم يرد ما يدل على نبوتها دلالة واضحة، بل على صديقتها وفضلها" (٢) .

وقد قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري : "واستدل بقوله تعالى: {واصطفاك} (٣) على أنها كانت نبيه، وليس بصريح في ذلك، وأيد بذكرها مع الأنبياء في سورة مريم، ولا يمنع وصفها بأنها صديقة فقد وصف يوسف بذلك. وقد نقل عن الأشعري أن في النساء عدة نبيات، وحصرهن

١ الألوسي : روح المعاني ج ٣ ، ص ١٥٤ .

٢ أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ج ٤ ، صفحة ٨٣ .

٣ سورة آل عمران الآية ٤٢ .

ابن حزم في ست: حواء، وسارة، وهاجر، وأم موسى، وآسية ومريم. وأسقط القرطبي سارة وهاجر، ونقله في التمهيد عن أكثر الفقهاء، وقال القرطبي: الصحيح أن مريم نبيه، وقال عياض الجمهور على خلافه، ونقل النووي في الأذكار أن الإمام نقل الإجماع على أن مريم ليست نبيه، وعن الحسن ليس في النساء نبية ولا في الجن، وقال السبكي الكبير: لم يصح عندي في هذه المسألة شيء، ونقله السهيلي في آخر الروض عن أكثر الفقهاء^(١).

يتضح مما سبق أن الاختلاف في نبوة النساء موجود، وبالأخص في مريم فإن القول بنبوتها شهير.

أقول: وسبب الخلاف هو التباين في ثلاثة أمور:

١. فهم النصوص الواردة في القرآن والمؤكدة لنزول الوحي لأم موسى وأم عيسى وأم اسحاق عليهن السلام.

وإنما حصل الخلاف بين الفريقين لتباينهما في الإجابة على الأسئلة التالية: ما معنى النبوة؟

وهل يمكن أن تتكلم الملائكة إلى غير الأنبياء؟

وإذا كان كلام الملائكة لغير الأنبياء ممكناً فما هو الحد الفاصل بين وحي الأنبياء ووحى الصديقين؟

٢. دعوى الإجماع بعدم الاستنباء في النساء لمن يرى ذلك.

^١ ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٦، ص ٤٧٠، ٤٧١. وانظر أيضاً ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٦، ٤٧٣، ٤٧٤.

٣. تفسير الكمال الوارد في الحديث كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون.

وبعقد مقارنة بين أدلة الفريقين يتضح أن الاستدلال بقوله تعالى: "وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا" (١) على عدم استتباء النساء يعتبر غير مسلم عند الفريق القائل بوجود النبوة في النساء؛ لأن الآية نفت الرسالة في النساء وفرق بين النبوة والرسالة. ودعوى الإجماع على أنه لم تكن في النساء نبية مردود لوجود الخلاف في ذلك.

ولذلك لما نظر الفريق القائل بأن في النساء نبوة إلى النصوص القرآنية من مثل قوله تعالى: {وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه} (٢)، وقوله عز من قائل: {فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا} (٣) إلى قوله سبحانه: {قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا} (٤)، وقوله تعالى: {أتعجبين من أمر الله} (٥) فهم من الآيات نزول الوحي بالنبوة على أم موسى ومريم وأم إسحاق عليهن السلام.

ورد الفريق القائل بعدم الاستتباء في النساء بأن الله قال: {وإذ أوحيت إلى الحواريين} (٦). والحواريون ليسوا أنبياء (٧). وكذلك قالوا: إن "الملائكة قد كلموا من ليس بنبي إجماعا فقد روى أنهم كلموا رجلا خرج لزيارة أخ له

١ سورة النحل الآية ٤٣ .

٢ سورة القصص الآية ٧.

٣ سورة مريم الآية ١٧ .

٤ سورة مريم الآية ١٩ .

٥ سورة هود الآية ٧٣ .

٦ سورة المائدة ١١١ .

٧ انظر أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس : كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (مجموع الفتاوى ، ، تحقيق: عبد

الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، مكتبة ابن تيمية، ط ٢، ج ١٢، ٣٩٨ .

في الله تعالى وأخبروه أن الله سبحانه يحبه كحبه لأخيه فيه ولم يقل أحد بنبوته" (١).

قال القرطبي : " واختلف في هذا الوحي إلى أم موسى، فقالت فرقة: كان قولاً في منامها وقال قتادة: كان إلهاماً وقالت فرقة: كان بملك يمثل لها، قال مقاتل أتاها جبريل بذلك، فعلى هذا هو وحي إعلام لا إلهام، وأجمع الكل على أنها لم تكن نبية، وإنما إرسال الملك إليها على نحو تكليم الملك للأقرع والأبرص والأعمى في الحديث المشهور، خرّجه البخاري ومسلم" (٢).

قلت : والحق أن الاستدلال بلفظة الوحي الواردة في قوله تعالى: {وأوحينا إلى أم موسى} (٣)، وبكلام الملائكة لأم موسى ومريم وأم إسحاق على نبوتهن ليس بلازم، لجواز أن تكون تلك كرامات لهن . ولذلك لما استدل الفريق الأول بقرائن على نبوة مريم عليها السلام . والتي منها كلام الملك لها وتأكيده لها بأن الله أرسله ليهب لها غلاماً، وذكرها الله في جملة الأنبياء حيث قال: {أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا} (٤) ، رد الفريق القائل: بعدم نبوتها، بأن الله صرح بأنها صديقة حيث قال سبحانه: {وأما صديقة} (٥)، فجعل ما حصل لمريم إنما هو من الكرامات، كالكرامات التي رآها زكريا حيث كان يرى عندها فاكهة الصيف في الشتاء والعكس، فدعا الله فوهبه يحيى عليهم السلام جميعاً. ورد القائلون بنبوة مريم بأن كونها

١ الألويسي : روح المعاني ج ٣ ، ص ١٥٤ .

٢ أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي : الجامع لأحكام القرآن، ج ١٣ ، ص ٢٥٠ .

٣ سورة القصص الآية ٧.

٤ سورة مريم الآية ٥٨.

٥ سورة المائدة الآية ٧٥ .

صديقة لا يمنع من كونها نبيه فقد قال الله عن يوسف عليه الصلاة و السلام: {يوسف ايها الصديق} (١).

لكن للمخالف لابن حزم أن يقول: هذا المقام الذي وصف الله به مريم عليها السلام هو أشرف مقاماتها، فلو كان كانت نبيه لوصفها الله بذلك.

ولنا أن نقول: إن إدخال ابن حزم مريم من جملة النبيين مستدلاً بقوله تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا} هو قول مخالف لجمهور المفسرين (٢).

بل القائل بنبوّة مريم عليها السلام وهو القرطبي، قال في تفسير هذه الآية: "{أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ} يريد إدريس وحده {وممن حملنا مع نوح} يريد إبراهيم وحده {وممن ذرية إبراهيم} يريد إسماعيل وإسحاق ويعقوب {و} من ذرية {إسرائيل} موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى" (٣). فلو كان في الآية ما يدل على نبوة مريم عليها السلام لذكر ذلك ؛ لأنه يقول بنبوته.

والصحيح في وحي الأنبياء أن يكون وحياً بشريع، فهذا هو فرق مهم في التفريق بين وحي الأنبياء ووحى غير الأنبياء.

صحيح أن هذا الشرط في وحي الأنبياء لم يرد نصاً، لكن يمكن تلمسه من النصوص القرآنية والأخبار الواردة عن نبينا محمد صلى الله عليه

١ سورة يوسف الآية ٤٦ .

٢ انظر د. أحمد بن ناصر محمد آل حمد : النبي والرسول، مكتبة القدس، ط ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، ص ١١٩.

٣ أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ج ١١، ص ١٢٠.

وسلم، ومنها ما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه : "ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن أو آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي فأرجو أني أكثرهم تابعا يوم القيامة" (١)، فما دام أن كل نبي أعطي آيات لتأييده فإن ذلك يعني أن له شريعة يدعو إليها، وقد أعطاه الله هذه الآيات تأييداً لنشر تلك الشريعة .

وقد صرح الله في القرآن بأن أنبياء بني إسرائيل الذين جاءوا بين موسى وعيسى عليهما السلام كانوا يحكمون بالتوراة، إذن فالتوراة أنزلت على

موسى وهي لهم عليهم السلام يحكمون بها، كما كان يحكم بها موسى عليه السلام من قبل، ومن دلالة الحديث السابق نجزم بأن كل واحد منهم أعطاه الله تعالى من الآيات التي تؤيده، ولا يكون ذلك إلا بالشرع ، ولأجل الشرع (٢).

وجاء في صحيح البخاري من رواية أبي هريرة أيضاً: "كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وإنه لا نبي بعدي وسيكون خلفاء فيكثر من قالوا فما تأمرنا قال فوا ببيعة الأول فالأول أعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم" (٣). فهذا الحديث فيه بيان وظيفة الأنبياء وهي سياسة أقوامهم.

^١ (البخاري) محمد بن إسماعيل: الجامع الصحيح، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، ب كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، اب قول النبي صلى الله عليه وسلم بعثت بجوامع الكلم، ج ٦، ص ٢٦٥٤، (٦٨٤٦).

^٢ انظر د. أحمد بن ناصر محمد آل حمد : النبي والرسول، مكتبة القدس، ط ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، ص ١١٧.

^٣ (البخاري) محمد بن إسماعيل: الجامع الصحيح، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ج ٣، ص ١٢٧٣، (٣٢٦٨).

وبعد، فإننا نسأل من قال بنبوة النساء: أي واحدة من النساء اللاتي أوحى إليهن، أعطيت من الآيات ما يؤيدها لكي تسوس قومها وتدعوهم لشريعة ما؟ والجواب : لا يوجد أحد ممن يقول بنبوة النساء يدعي ذلك ، بل كل امرأة أوحى إليها كان الوحي إليها متعلقاً بذاتها، لا يتعداها لغيرها، فالوحي إليهن ليس وحي تشريع بيقين.

ولذلك يقول الإمام ابن كثير إن جمهور العلماء يقولون: "إن الله تعالى لم يُوحِ إلى امرأة من بنات بني آدم وحي تشريع" (١).

وأما استدلال بعضهم بقوله تعالى: {واصطفاك على نساء العالمين} (٢) على نبوة مريم فقد قال بن كثير في البداية والنهاية: "{واصطفاك على نساء العالمين} (٣) يحتمل أن يكون المراد عالمي زمانها كقوله لموسى {إني اصطفيتك على الناس} (٤) وكقوله عن بني إسرائيل: {ولقد اخترناهم على علم على العالمين} (٥) ومعلوم أن ابراهيم عليه السلام أفضل من موسى، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل منهما، وكذلك هذه الأمة أفضل من سائر الأمم قبلها، وأكثر عدداً، وأفضل علماً، وأزكى عملاً من بني اسرائيل وغيرهم، ويحتمل أن يكون قوله: {واصطفاك على نساء العالمين} (٦) محفوظ العموم فتكون أفضل نساء الدنيا ممن كان قبلها ووجد بعدها" (٧).

١ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي : تفسير القرآن العظيم، ج ٤ ، ص ٤٢٢ .

٢ سورة آل عمران الآية ٤٢ .

٣ سورة آل عمران الآية ٤٢ .

٤ سورة الأعراف الآية ١٤٤ .

٥ سورة الدخان ٣٢ .

٦ سورة آل عمران الآية ٤٢ .

٧ إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء: البداية والنهاية، ج ٢ ، ص ٥٩ .

وأقول: الاستدلال بالنصوص الدالة على إصطفاء الله لمريم ليس بحجة فقد صرح الله بأنه اصطفى غير الأنبياء. منها قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ} (١).

قال ابن كثير في تفسير الآية السابقة: "يخبر تعالى أنه اختار هذه البيوت على سائر أهل الأرض" (٢). ومعلوم أن آل إبراهيم وآل عمران ليسوا كلهم أنبياء، وإلى هذا القول أشار ابن كثير بقوله السابق.

ما الراجح في فهم الكمال الوارد في الحديث النبوي عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون" (٣)؟

لقد فسر الإمام ابن حزم الكمال في الحديث النبوي السابق بالنبوة، بل فسر كمال مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون بتفضيلهما على سائر من أوتيت النبوة من النساء .

قال ابن حزم رحمه الله: "فإن اعترض معترض بقول النبي صلى الله عليه وسلم: {كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وامرأة فرعون} فإن هذا الكمال إنما هو الرسالة والنبوة التي انفرد بها الرجال، وشاركهم بعض النساء في النبوة، وقد يتفاضلون أيضا فيها فيكون بعض الأنبياء أكمل من بعض، ويكون بعض الرسل أكمل من بعض، قال الله عز و جل: {تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع

^١ سورة آل عمران الآية ٣٣.

^٢ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، ج ٢، ص ٣٣.

^٣ تقدم تخرجه ص ١٣٤ .

بعضهم درجات}{^(١)} فإنما ذكر في هذا الخبر من بلغ غاية الكمال في طبقته ولم يتقدمه منهم أحد"}^(٢)

وقال الإمام ابن حزم أيضاً: "والكمال في الرجال لا يكون إلا لبعض المرسلين عليهم الصلاة والسلام؛ لأن من دونهم ناقص عنهم بلا شك، وكان تخصيصه صلى الله عليه وسلم مريم وامرأة فرعون تفضيلاً لهما على سائر من أوتيت النبوة من النساء بلا شك، إذ من نقص عن منزلة آخر ولو بدقيقة فلم يكمل، فصح بهذا الخبر أن هاتين المرأتين كملتا كمالاً لم يلحقهما فيه امرأة غيرهما أصلاً، وإن كن بنصوص القرآن نبيات وقد قال تعالى: {تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض}{^(٣)}"}^(٤).

هذه الجمل السابقة من ابن حزم يتوجه إليها من النقد الآتي:

١ . اعتبر ابن حزم الكمال منزلة لا تبلغها النبوة من حيث هي، فليس كل المرسلين بكاملين حيث قال: "والكمال في الرجال لا يكون إلا لبعض المرسلين عليهم الصلاة والسلام لأن من دونهم ناقص عنهم بلا شك"}^(٥).

أقول: إذا كان بعض المرسلين غير كاملين فأين إذن يوجد الكمال في الرجال؟ أهو محصور في نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وإبراهيم عليه السلام، وبعض المرسلين فقط؟

وأيضاً يلزم من قول ابن حزم هذا أن الأنبياء من الرجال غير كاملين!

^١ سورة البقرة الآية ٢٥٣ .

^٢ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥ ، ص ١٢١ .

^٣ سورة البقرة الآية ٢٥٣ .

^٤ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥ ، ص ١٢١ .

^٥ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥ ، ص ١٢١ .

وأيضاً حصر الكمال في الرجال في بعض المرسلين ينافي ظاهر الحديث { كمل من الرجال كثير }^(١).

٢ . اعتبر ابن حزم الكمال مرتبة واحدة غير متفاوتة حيث قال: "إذ من نقص عن منزلة آخر ولو بدقيقة فلم يكمل" ^(٢). وهذا يناقض قوله تعالى: {تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ} ^(٣)، فالتفاوت في الفضل ثابت بنص القرآن.

بل هذا يناقض قول ابن حزم: "فالكامل في نوعه هو الذي لا يلحقه أحد من أهل نوعه، فهم من الرجال الرسل الذين فضلهم الله تعالى على سائر الرسل، ومنهم نبينا وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام بلا شك، للنصوص الواردة بذلك في فضلها على غيرهما، وكمل من النساء من ذكر عليه الصلاة والسلام" ^(٤). فهذا اضطراب واضح منه رحمه الله.

ويلزم من قوله هذا: أن محمداً صلى الله عليه وسلم ليس أفضل المرسلين، لأن الكاملين لا تفاوت بينهم.

ويلزم أيضاً من قوله هذا: أن الكامل لا يصدق إلا على واحد فقط، وهذا يخالف حديث النبي صلى الله عليه وسلم { كمل من الرجال كثير }^(٥)،

^١ تقدم تخريجه ص ١٣٤ .

^٢ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥ ، ص ١٢١ .

^٣ سورة البقرة الآية ٢٥٣ .

^٤ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥ ، ص ١٢١ .

^٥ تقدم تخريجه ص ١٣٤ .

ويخالف هذا قول ابن حزم عندما عد من الكاملين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وإبراهيم عليه السلام! (١).

٣ . قول الإمام ابن حزم رحمه الله تعالى : "فصح بهذا الخبر أن هاتين المرأتين كملتا كمالاً لم يلحقهما فيه امرأة غيرهما أصلاً، وإن كن بنصوص القرآن نبيات" (٢)، يتوجه إليه من النقد:

أولاً: أين النص القرآني في نبوة آسية امرأة فرعون؟!

ثانياً: ما دام الكمال لحق هاتين المرأتين رضي الله عنهما، فلم قصرت الكمال في الرجال في بعض المرسلين فقط؟

فهل هذا يعني أن هاتين المرأتين رضي الله عنهما، أفضل من جميع الأنبياء ومن بعض المرسلين؟ أم أن الكمال في الرجال يختلف عن الكمال في النساء كما تدعي؟

وإذا كان الكمال في الرجال يختلف عن الكمال في النساء فما الدليل على ذلك؟

ثالثاً: هناك نصوص تدل على اشتراك خديجة بنت خويلد رضي الله عنها. زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وفاطمة . رضي الله عنها. بنت محمد صلى الله عليه وسلم في الكمال المذكور في الحديث، قال ابن حجر في الفتح : "وقد ورد في هذا الحديث من الزيادة بعد قوله ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد، أخرجه الطبراني عن يوسف بن يعقوب القاضي عن عمرو بن مرزوق عن شعبة بالسند المذكور هنا،

١ انظر د. أحمد بن ناصر بن محمد: الرسول والنبي، ص ١٢٨ ، ١٣٠.

٢ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥ ، ص ١٢١ .

وأخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة عمرو بن مرة أحد رواة عند الطبراني بهذا الإسناد، وأخرجه الثعلبي في تفسيره من طريق عمرو بن مرزوق به، وقد ورد من طريق صحيح ما يقتضي أفضلية خديجة وفاطمة على غيرهما^(١).

وعليه فإن هذا الإشتراك في الكمال يجعلنا نقطع بأن الكمال المذكور في الحديث ليس هو النبوة قطعاً؛ لأن خديجة وفاطمة رضي الله عنهما ليستا نبيتين بالاتفاق، ويكون حصر الكمال في الحديث المذكور فيه مريم وامراً فرعون رضي الله عنهما مقصود به: وصولهما مرتبة من الكمال الذي هو دون النبوة، كما صرح القرآن بأن مريم عليها السلام صديقة، فهما رضي الله عنهما أكمل امرأتين في زمانهما، وإلا فنساء أمتنا أفضل من نساء بقية الأمم باتفاق إذا سلمنا بعدم نبوة مريم وامراً فرعون رضي الله عنهما.

ولذلك قال ابن تيمية: "قوله تعالى (ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة)^(٢) فجعل غاية مريم الصديقية كما جعل غاية المسيح الرسالة وقد ثبت في الصحيحين عن النبي أنه قال: (أكمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم)^(٣) يعني من نساء الأمم قبلنا وهذا يدل على أن أم موسى ليست ممن كمل من النساء فكيف تكون نبية؟"^(٤).

ومعلوم شدة اتباع ابن تيمية لأقوال السلف ولما لم يجد قولاً للسلف بتفسير الكمال المذكور في الحديث بالنبوة، جزم بأنه ليس في النساء نبية فقال: "وقد

^١ ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ٦، ص ٤٤٧.

^٢ سورة المائدة الآية ٧٥.

^٣ تقدم تخريجه ص ١٣٤.

^٤ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ج ٢، ص ٣٤٩، ٣٥٠.

حكى الإجماع على أنه لم يكن في النساء نبية غير واحد كالقاضي أبي بكر ابن الطيب والقاضي أبي يعلى وأبي المعالي الجويني وخلاف ابن حزم شاذ مسبوق بالإجماع، فإن دعواه أن أم موسى كانت نبية هي ومريم قول لا يعرف عن أحد من السلف والأئمة^(١).

وهذا القول لابن تيمية يقتضي حصر أعلى درجات الكمال عدا نساء أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في مريم وآسية عليهما السلام . وإليه أميل وقد قال الكرمانى: "لا يلزم من لفظ الكمال ثبوت نبوتهما؛ لأنه يطلق لتمام الشيء وتناهيه في بابيه، فالمراد ببلوغهما إليه في جميع الفضائل التي للنساء، قال: وقد نقل الإجماع على عدم نبوة النساء كذا قال"^(٢).

أقول: ومما مضى فالذي أميل إليه أن أم موسى عليها السلام ليست نبية حتى على القول القائل بتفسير الكمال المذكور في الحديث بالنبوة، إذ لم تذكر فيمن كمل من نساء الأمم السابقة لأمتنا، فكيف تكون نبية؟. وأما كلام الملك لها فمن باب الكرامات. وكذلك القول بنبوة حواء وسارة وهاجر عليهن السلام لا ينهض فإنهن لم تذكرن فيمن كمل من النساء .

ويبقى الخلاف في نبوة مريم وآسية عليهما السلام.

والذي أميل إليه هو أن آسية عليها السلام ليست نبية، وإن كانت ممن كمل من النساء، لعدم وجود القرائن الدالة على نبوتها. ولاشتراك خديجة وفاطمة معها في هذا الكمال وهما ليستا نبيتين يقيناً. فليس الكمال هنا كمال النبوة^(٣).

^١ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس : الصفدية ج ١ ، ص ١٩٨ .

^٢ ابن حجر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج ٦ ، ص ٤٤٧ .

^٣ انظر ص ١٤٣ .

قال ابن تيمية راداً على ابن حزم في مجموع الفتاوى : "وأبو محمد مع كثرة علمه وتبحره وما يأتي به من الفوائد العظيمة له من الأقوال المنكرة الشاذة ما يعجب منه كما يعجب مما يأتي من الأقوال الحسنة الفائقة وهذا كقوله إن مريم نبيه وإن آسية نبيه وإن أم موسى نبيه" (١).

وأما مريم عليها السلام فنازع في نبوتها من فسر الكمال بالنبوة، وقد رجحنا عدم تفسير الكمال بالنبوة، لاشتراك خديجة وفاطمة رضي الله عنهما معهما في لفظة الكمال، ولما كانت خديجة وفاطمة رضي الله عنهما ليستا نبيتين ، لزم ألا يفسر الكمال بالنبوة (٢).

بقي أمر أخير يرجح القول بنفي نبوة النساء، وهو أن تركيب المرأة لا يؤهلها لتحمل أعباء النبوة ، ومن ذلك:.

١ . عدم أهليتها لأن تكون القوامة بيدها، فقد جعل الله القوامة بيد الرجل، لما يتميز به الرجال من رجاحة العقول وقوة الأبدان، وحسن التدبير، والمقدرة على التعامل مع الأحداث، وبذلك فضل الله الرجل على المرأة. قال تعالى : {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ} (٣).

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: "{الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ} أي الرجل قيم على المرأة أي هو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها ومؤدبها إذا اعوجت }

١ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس : مجموع الفتاوى ، ج ٤ ، ص ٣٩٦ .

٢ انظر ص ١٤٣ .

٣ النساء الآية ٣٤ .

بما فضل الله بعضهم على بعض { أي لأن الرجال أفضل من النساء والرجل خير من المرأة ولهذا كانت النبوة مختصة بالرجال }^(١).

وقال في تفسير قوله تعالى: { وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }^(٢)

أي في الفضيلة في الخلق والخلق والمنزلة وطاعة الأمر والإنفاق والقيام بالمصالح والفضل في الدنيا والآخرة^(٣).

٢ . ما يعتري المرأة من حيض ونفاس، يعيقها عن المحافظة على الطهارة التي يتطلبها حال النبي الملازم لكلام الله.

٣ . ما جبلت عليه المرأة من اعوجاج لا تصلح أن تكون به القدوة^(٤)، وما جبلت عليه من التمتع وعدم مجابهة الخصوم ، وعدم مجارة الرجال لعجزها عن الإبانة كما قال تعالى {أَوْ مَنْ يُنشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ }^(٥)، وكل هذا نقص لا يليق بمقام الأنبياء.

٤ . ما رواه البخاري عن أبي بكرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة"^(٦)، يؤكد أن المرأة لا تصلح أن تكون والية لأمر المسلمين، فكيف تكون نبيه تتحمل أعباء النبوة؟.

والله تعالى أعلم.

^١ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي : تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٤٩٢

^٢ سورة البقرة الآية ٢٢٨ .

^٣ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي : تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٢٧٢ .

^٤ روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء". انظر (البخاري) محمد بن إسماعيل: الجامع الصحيح، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، كتاب الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته ، ج ٣، ص ١٢١٢ ، (٣١٥٣).

^٥ سورة الزخرف الآية ١٨ .

^٦ (البخاري) محمد بن إسماعيل: الجامع الصحيح، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، كتاب الفتن ، باب الفتنة التي تموج كموج البحر ، ج ٦، ص ٢٦٠٠ ، (٦٦٨٦).

المبحث الخامس : كلام الإمام ابن حزم في الخضر من حيث النبوة والولاية، والحياة والموت.

اختلف العلماء في الخضر هل هو نبي أم ولي؟

وهل هو حي أم ميت؟

والشائع عند كثير من الناس أن الخضر حي. بل والكثير من الناس يدعي أنه لقي الخضر عليه السلام!

لكن تلك الدعاوى لابد أن تستند إلى برهان، والإمام ابن حزم معروف بعدم تقليده، بل وبتنقيبه عن الدليل في كل مسألة يتناولها، فكيف إذا كانت المسألة لها تعلق بالعقيدة، لا شك أنه سيكون أكثر تمحيصاً لها.

وسوف أتناول معتقد الإمام ابن حزم في الخضر من خلال مطلبين هما:

المطلب الأول : كلام الإمام ابن حزم في الخضر من حيث النبوة والولاية.
ليس من المفاجيء أن يعتقد ابن حزم نبوة الخضر؛ ذلك لأنه ينكر كرامات الأولياء^(١)؛ فلذلك هو لا يمكن أن يتصور أن ما حدث من الخضر عليه السلام مع موسى عليه السلام ، من خرقه للسفينة، وقتله للغلام، وإقامته

^١ انظر ص ١٧١ .

للجدار . مع تأييد الله له، واعتذار موسى عليه السلام له مؤيداً بعد أن كان منكراً . كرامات لهذا الرجل الصالح، إذ الذي حصل من الخضر عليه السلام يدل على علمه الخارق للعادة الذي لا يؤيد به إلا نبي عند ابن حزم ، إذ أن خرق العادة عند ابن حزم لا يكون إلا لنبي^(١) .

لقد صرح ابن حزم بنبوة الخضر في الفصل في عدة مواضع منها قوله: "وقال الله تعالى مخبراً عن الخضر الذي أتاه الله تعالى العلم والحكمة والنبوة"^(٢). وقوله: "فهذه شهادة ثلاثة أنبياء محمد وموسى والخضر صلى الله عليه وسلم"^(٣).

وكذلك صرح ابن حزم بنبوة الخضر في كتابه المحلى حيث قال : "قَالَ اللَّهُ - عز وجل - حَاكِيًا عَنْ الْخَضِرِ { وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي }"^(٤) فَصَحَّتْ نُبُوءَتُهُ، وَقَالَ تَعَالَى: { وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ }"^(٥) "^(٦).

وعليه فعمدة ابن حزم في قوله بنبوة الخضر عليه السلام هو قوله تعالى : [وما فعلته عن أمري]^(٧).

وتفسير ذلك أن ابن حزم يرى أن الخضر عليه السلام، ما فعل ما فعل إلا بوحي من الله، وإلا لما جاز له خرق السفينة لئلا يغرق أهلها، ولا قتل

^١ انظر ص ١٧١ .

^٢ انظر ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٣ ، ص ٥٥ .

^٣ انظر ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٣ ، ص ٥٦ .

^٤ سورة الكهف الآية ٨٢ .

^٥ سورة الأحزاب الآية ٤٠ .

^٦ علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد: المحلى ، ج ١ / ص ٥٠ .

^٧ سورة الكهف الآية ٨٢ .

الغلام؛ لأنه قتل لنفس بغير نفس، ولأن الخضر عليه السلام قال : وما فعلته عن أمري، يعني ما فعلت الذي فعلته إلا بوحى من الله.

قال ابن حزم: "وقال الله تعالى مخبرا عن الخضر الذي آتاه الله تعالى العلم والحكمة والنبوة، حاكيا عن موسى عليه السلام وفتاه: [فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما] (١) وقال تعالى مخبرا عنه ومصدقا عنه: [وما فعلته عن أمري] (٢) فصح أن كل ما قال الخضر عليه السلام فمن وحي الله عز و جل، ثم أخبر عز و جل بأن الخضر قال لموسى عليه السلام {إنك لن تستطيع معي صبرا} فلم ينكر الله تعالى كلامه ذلك ولا أنكره موسى عليه السلام لكن أجابه بقوله {ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا} (٣) (٤).

وقد وضح القرآن كما هو معلوم الحكمة من خرق السفينة على لسان الخضر عليه السلام عندما قال: [فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا] (٥).

وكذلك ما قتل الخضر عليه السلام الغلام إلا لحكمة، وبأمر من الله، قال تعالى: [وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (٨٠) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاءً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (٨١)] (٦).

^١ سورة الكهف الآية ٦٥ .

^٢ سورة الكهف الآية ٨٢ .

^٣ سورة الكهف الآية ٦٩ .

^٤ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٣ ، ص ٥٥ .

^٥ سورة الكهف الآية ٧٩ .

^٦ سورة الكهف الآية ٨٠-٨١ .

وكذلك كانت هناك حكمة من إقامة الخضر عليه السلام الجدار للغلامين، حيث أفصح الله تعالى عنها على لسان الخضر في قوله سبحانه: [وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي] (١).

وبعد، فالنكتة في موقف موسى عليه السلام من شأن قتل الغلام أن موسى عليه السلام كان اعتراضه على ذلك بحسب ما ظهر له، حيث "قدر أن الغلام زكي، إذ لم يعلم له ذنباً، وكان عند الخضر العلم الجلي بكفر ذلك الغلام، واستحقاقه القتل، فقصد موسى عليه السلام بكلامه في ذلك وجه الله تعالى والرحمة وإنكار ما لم يعلم وجهه" (٢).

وكذلك الشأن في سائر ما فعله الخضر عليه السلام واعترض عليه موسى عليه السلام، كان موسى معذوراً في اعتراضاته؛ لأنه لم يكن معه من العلم ما عند الخضر عليه السلام، وأما الخضر عليه السلام فلم يفعل ما فعل إلا لأنه كان على علم من الله بحقيقة تلك الأمور، فقد أوحى الله إليه بذلك، ودل على ذلك دلالة لا ريب فيها قوله: [وما فعلته عن أمري] (٣).

قال الإمام ابن حزم رحمه الله: "وأما أمر موسى والخضر عليهما السلام، فإن الخضر نبي موحى إليه، ولم يفعل شيئاً من كل ما فعل باجتهاد، كما يظن من لا عقل له، وإنما فعل كل ذلك بوحى أوحاه الله إليه، وبيان ذلك: نص الله تعالى بأن حكى عنه أنه قال لموسى: (وما فعلته عن أمري

١ سورة الكهف الآية ٨٢ .

٢ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٤ ، ص ٣٢ .

٣ سورة الكهف الآية ٨٢ .

ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا^(١) . وأما سؤال موسى عليه السلام له عن ذلك فإنما فعله ناسيا لعهدده، ولسنا ننكر أن تنسى الأنبياء عليهم السلام^(٢).

وقتل الخضر عليه السلام للغلام مع تأييد الله له، هو مما استدل به الإمام ابن حزم على نبوة الخضر، وجزم بأن هذا من شرائعه^(٣)، وهو دليل قوي إذ لا خلاف في شريعتنا أنه لا يحل قتل غلام خوف أن يرهقهما طغيانا وكفرا^(٤)، كما يقول ابن حزم رحمه الله.

فإن قيل: إن هذا من شرائع موسى عليه السلام، والخضر عليه السلام من أتباعه، قلنا: هذا بعيد، إذ كيف يوحى للتابع بأمر يجهله المتبوع؟ فتعين بهذا أن الخضر عليه السلام نبي^(٥)، والله تعالى أعلم.

المطلب الثاني: كلام الإمام ابن حزم في الخضر من حيث الحياة والموت.

لقد تتبعت معتقد ابن حزم رحمه الله في الخضر عليه السلام، فوجدته يقول بنبوة الخضر كما مر في المطلب السابق، ويعتقد أنه الآن ميت غير حي.

^١ سورة الكهف الآية ٧٩.

^٢ علي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبو محمد، : الإحكام في أصول الأحكام، دار الحديث، القاهرة، ط ١، ١٤٠٤هـ، ج ٥، ص ١٢٦.

^٣ علي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبو محمد، : الإحكام في أصول الأحكام، ج ٥، ص ١٥٩.

^٤ علي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبو محمد، : الإحكام في أصول الأحكام، ج ٥، ص ١٥٩.

^٥ وانظر شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن حجر الكناي العسقلاني: الزهر النضر في حال الخضر، تحقيق: صلاح مقبول أحمد، مجمع البحوث الإسلامية، جوغابائي نيودلهي، الهند، ط ١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص ٢٩، ٣٢. تجد أدلة أخرى لنبوة الخضر عليه الصلاة والسلام.

وقد ذكر ابن حزم بأن الخضر عليه السلام قد مات في كتابه الفصل، عندما ذكر شنع الشيعة، والتي منها ادعاؤهم أن بعض من مات من أئمتهم وغيرهم أنهم أحياء ، وقالوا: إن أئمتهم هؤلاء ما ماتوا ولن يموتوا حتى يملئوا الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً، ووضح أنهم سلكوا بقولهم هذا سبيل اليهود القائلين عن إلياس عليه السلام وبعض من مات بأنهم أحياء. ثم قال ابن حزم رحمه الله تعالى: "وسلك هذا السبيل بعض تركي الصوفية فزعموا أن الخضر وإلياس عليهما السلام حيان إلى اليوم، وادعى بعضهم أنه يلقي إلياس في الفلوات، والخضر في المروج والرياض، وأنه متى ذكر خطر على ذكره" (١).

ونحن نؤيد ما يعتقد ابن حزم في الخضر عليه السلام ، وخلاصة ذلك ما ذكره الإمام ابن حزم في المحلى بأوضح عبارة فقال: "وَالْخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَبِيٌّ قَدْ مَاتَ، وَمُحَمَّدٌ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ، قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - حَاكِيًا عَنِ الْخَضِرِ { وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي } (٢) فَصَحَّتْ بُبُوءَتُهُ، وَقَالَ تَعَالَى: { وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ } (٣)" (٤).

أما تأييدنا للإمام ابن حزم في القول بنبوة الخضر فقد مر، وأما تأييدنا له في القول بموت الخضر عليه السلام ؛ فلأن أوضح دليل على أن الخضر عليه السلام قد مات، عدم ظهوره مؤيداً وتابعاً لنبيينا محمد صلى الله عليه وسلم، هذا على تقدير أنه من الصالحين، وأما على اعتقاد أنه نبي . وهو

^١ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥ ، ص ٣٧ .

^٢ سورة يوسف الآية ٨٢ .

^٣ سورة الأحزاب الآية ٤٠ .

^٤ علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد: المحلى ، ج ١ ، ص ٥٠ .

الصحيح . فالأمر أشد ظهوراً ، إذ قد أخذ الله العهد والميثاق على النبيين ليؤمنن بخاتم الأنبياء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ولينصرنه، قال تعالى: [وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٨١) فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٨٢)]^(١). فلما لم يظهر مبايعاً دل ذلك على موته يقيناً.

وكما قال ابن حزم: كيف يمكن للخضر عليه السلام أن يظهر في مواضع عديدة، ربما تصل إلى الألف في الدقيقة الواحدة في شرق الأرض وغربها وشمالها وجنوبها؟ قال: "ولقد لقينا من يذهب الى هذا خلقاً، وكلمناهم، منهم: المعروف بابن نفق الليل المحدث بطلبيره^(٢)، وهو مع ذلك من أهل العناية، وسعة الرواية، ومنهم محمد بن عبد الله الكاتب، وأخبرني أنه جالس الخضر، وكلمه مراراً و غيره كثير"^(٣).

وأيضاً يقول ابن حزم: لكل من يعتقد أن الخضر عليه السلام من الأنبياء، ويدعي أنه حي كيف تستجيز أن تثبت بعد نبينا محمد عليه الصلاة والسلام "نبياً في الأرض حاشا ما استثناه رسول الله صلى الله عليه و سلم في الآثار المسندة الثابتة في نزول عيسى بن مريم عليه السلام في آخر

^١ سورة آل عمران الآية ٨١، ٨٢.

^٢ ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله : معجم البلدان ، بفتح أوله وثانيه وكسر الباء ، مدينة بالأندلس من أعمال طليطلة، كبيرة قديمة البناء على نهر تاجه، ولها حصون، خربت فاستجدها عبد الرحمن الناصري الأموي ، ج ٤/ص ٣٧ .

^٣ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٤ ، ص ٣٧.

الزمان" (١)، مع سماعك قول الله تعالى: [ولكن رسول الله وخاتم النبيين] (٢)،
وقول رسول الله صلى الله عليه و سلم: [لا نبي بعدي] (٣)؟

بل نقول: إن الشيطان هو الذي يظهر لمثل هؤلاء، ليضلهم كما قال بذلك
شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (٤).

فإن قيل : إن هذا قد يسلم فيما لو كنتم تعتقدون أن الخضر عليه السلام من
الصالحين، وأنتم تعتقدون نبوة الخضر عليه السلام، ومعلوم أن الشيطان لا
يتمثل بالأنبياء، فهذا ينقض كلامكم.

قلنا: نعم الشيطان لا يتمثل بالأنبياء، لكن أخبرونا بالسند المتصل كيف هي
صفات الخضر عليه السلام الخَلْقِيَّة؟

والجواب: أنه لا سبيل إلى ذلك ألبتة، وفي هذا البيان الكافي في أن الذي
يظهر لكم إنما هو شيطان يدعي ما تدعون ليضلكم بذلك.

١ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٤ ، ص ٣٨ .

٢ سورة الأحزاب الآية ٤٠ .

٣ سبق ترجمه ص ١٤١ .

٤ ابن تيمية : النبوات ج ٢ ، ص ١٠٥٦ ، وما بعدها .

المبحث السادس: الكلام على من قال: إن في البهائم رسلاً

ومن العجب العجائب أن يدعي بعض الخلق أن في البهائم رسلاً، وإنما نستنكر مثل هذا القول؛ لأنه لا دليل عليه؛ ولأن رسل الله إلى خلقه ينبغي أن

يكونوا في غاية الفطنة، والبعد عن الشهوات ،ومعلوم أن البهائم غارقة في الشهوات ولا فطنة لها، بل ولا عقل.

وكلامنا في هذا المبحث يشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: ذكر ابن حزم للقائلين بأن في البهائم رسلاً.

المطلب الثاني : رد ابن حزم على من زعم أن في البهائم رسلاً.

نبدأ بذكر القائلين بأن في البهائم رسلاً وهو موضوع المطلب الأول.

المطلب الأول: القائلون بأن في البهائم رسلاً.

نسب الإمام ابن حزم القول بنبوة بعض البهائم إلى أحمد بن حابط^(١) قال: "وكان من قوله أن الله عز وجل نبأ أنبياء من كل نوع من أنواع الحيوان حتى البق والبراغيث والقمل"^(٢).

قال الألويسي في روح المعاني: "ولم نسمع القول بنبوة فرد من البهائم ونحوها إلا عن الشيخ محيي الدين^(٣)، ومن تابعه"^(٤).

^١ أحمد بن حابط : من أهل البصرة وهو من تلاميذ ابراهيم النظام ، كان يقول بتناسخ الأرواح ، وأن الأرواح تنتقل بعد مفارقتها الأجساد إلى أجساد آخر، وإن لم تكن من نوع الأجساد التي فارقت. وكان يقول إن الأرواح التي هي شر لا خير فيها هي أرواح الشياطين فهي تعذب في النار إلى أبد الأبد، وإن الأرواح التي هي خير لا شر فيها هي أرواح الملائكة تنتقل الى الجنة فتتعمق فيها أبد الأبد. وكان يطعن على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنكاح، وكان من قوله أن الله عز وجل نبأ أنبياء من كل نوع من أنواع الحيوان حتى البق والبراغيث والقمل انظر ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ١ ، ص ١٤٩ ، ١٦٥ ، ١٦٦ .

قال في لسان الميزان : " أحمد بن حابط المعتزلي تلميذ النظام له مقالات شنيعة ذكرها بن حزم وغيره منها قوله أن للعالم خالقين الله وهو القديم والثاني محدث وهو الكلمة إلى غير ذلك من الخرافات". انظر ابن حجر: لسان الميزان ، ج ١ ، ص ١٤٨ .

ويزيد محقق كتاب الفصل أنه كان يقول بالطرفة، وينفي الجزء الذي لا يتجزأ، وأنه زعم أن المسيح تذرع بالجسد الجسماني، وأن المسيح هو الكلمة القديمة المتجسدة فوافق النصراني في ذلك، ثم إنه شبه عيسى ابن مريم بربه وزعم أنه الإله الثاني، وأنه هو الذي يحاسب الخلق يوم القيامة. مات أيام الولاة بالله. انظر ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ١ ، ص ١٤٩ ، حاشية رقم ١. وقد أحال المحقق إلى الفرق بين الفرق ص ٢٢٨ ، والملل والنحل ج ١ ، ص ١٨٢ .

^٢ انظر ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ١ ، ص ١٤٩ .

^٣ انظر ترجمته ص ٥٤ .

المطلب الثاني : الرد على من زعم أن في البهائم رسلاً

مر علينا في المطلب السابق أن ابن حزم نسب القول بنبوة بعض البهائم إلى أحمد بن حابط.

ونتيجة لهذا القول وغيره فقد كفره الإمام ابن حزم قائلاً: "وما نراه إلا كافراً لا مؤمناً، وإنما استجزنا إخراجهم عن الإسلام؛ لأن أصحابه حكوا عنه وجوهاً من الكفر منها: التناسخ، والطعن على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنكاح، وكان من قوله أن الله عز وجل نبأ أنبياء من كل نوع من أنواع الحيوان حتى البق والبراغيث والقمل"^(٢).

ثم شرع في ذكر حجة أحمد ابن حابط ثم رد عليها.

حجة من زعم أن في البهائم رسلاً

ذكر ابن حزم رحمه الله تعالى أن حجة أحمد ابن حابط في ذلك قول الله تعالى: {وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء}{^(٣).

وقوله تعالى: {وإن من أمة إلا خلا فيها نذير}{^(٤).

أقول : ولعل الآيتين السابقتين هي حجة جميع من زعم أن في البهائم نبوة.

رد الإمام ابن حزم

^١ الألويسي : روح المعاني ج ٢٢ ، ص ١٨٨ .

^٢ انظر ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ١ ، ص ١٤٩ .

^٣ سورة الأنعام الآية ٣٨ .

^٤ سورة فاطر الآية ٢٤ .

رد الإمام ابن حزم رحمه الله تعالى الاستدلال الخاطيء من ابن حاطب . ومن وافقه في الرأي . بالآيتين السالفتين وبين ألا حجة لهم في ذلك، إذ أن المقصود بالأمم في الآية الأولى [أم أمثالكم]^(١) أي أنواع أمثالكم إذ كل نوع يسمى أمة ، كما أن المقصود بقوله تعالى في الآية الثانية [وإن من أمة إلا خلا فيها نذير]^(٢) الأمم من الناس، وهم القبائل والطوائف، والأمم من الجن لصحة وجوب العبادة عليهم .

ويستدل ابن حزم على أن البهائم ليست من الأمم المعنية بالآيتين السابقتين بالسمع، وضرورة الحس والعقل.

وتفصيل ذلك: أن الله عز وجل قال وقوله الحق [لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل]^(٣)، وإنما يخاطب الله تعالى بالحجة من يعقلها، قال الله تعالى [واتقون يا أولي الألباب]^(٤)، فهذا هو الدليل السمعي^(٥).

قال الإمام ابن حزم رحمه الله تعالى : " وقد علمنا بضرورة الحس أن الله تعالى إنما خص بالنطق . الذي هو التصرف ومعرفة الأشياء على ما هي عليه والتصرف في الصناعات على اختلافها . الإنسان خاصة، واضفنا إليهم بالخبر الصادق مجرد الجن، وأضفنا إليهم بالخبر الصادق وببراهين أيضا ضرورة الملائكة"^(٦).

^١ سورة الأنعام الآية ٣٨ .

^٢ سورة فاطر الآية ٢٤ .

^٣ سورة النساء الآية ١٦٥ .

^٤ سورة البقرة ١٩٧ .

^٥ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ١ ، ص ١٤٩ .

^٦ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ١ ، ص ١٤٩ .

ويرى ابن حزم أن القدر المشترك بين سائر الحيوانات هو الحس والحركة الإرادية، لكن للإنسان حياة تختلف عن حياة بقية الحيوانات، إذ يختص بالعقل الذي هو مناط التكليف كما هو معلوم، لذا علمنا بضرورة العقل أن الله تعالى لا يخاطب بالشرائع إلا من يعقلها ويعرف المراد بها^(١)، وبقوله تعالى [لا يكلف الله نفساً إلا وسعها]^(٢) أيضاً تيقنا أن البهائم غير مخاطبة بالشرائع^(٣) .

وأيضاً ينبه ابن حزم على أن حياة الناس متفاوتة بحسب تفكيرهم، بخلاف بقية الحيوانات فإنها تجري "على رتبة واحدة في تصرفها في معاشها وتناسلها لا يجتنب منها واحد شيئاً يفعلُه غيره، هذا الذي يدرك حساً"^(٤) فصح أن البهائم غير مخاطبة بالشرائع. وهذا هو تفسير معنى قول الله تعالى: { أمم أمثالكم }^(٥): أي أنواع أمثالكم إذ كل نوع يسمى أمة"^(٦).

وأيضاً لم يأت دليل سمعي بأن البهائم لها شريعة، قال الإمام ابن حزم رحمه الله تعالى: "ولم يأت نص ولا إجماع ولا دليل عقل، ولا دليل خبر على أن المواشي متعبدة بشريعة، وهذا مما نقر به ونقول يفعل الله ما يشاء ولا علم لنا إلا ما علمنا. وبالله تعالى التوفيق"^(٧).

^١ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ١ ، ص ١٥٠ .

^٢ سورة البقرة الآية ٢٨٦ .

^٣ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ١ ، ص ١٥٠ .

^٤ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ١ ، ص ١٥٠ .

^٥ سورة الأنعام الآية ٣٨ .

^٦ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ١ ، ص ١٥٠ .

^٧ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ١ ، ص ١٥٩ .

قال الألوسي في روح المعاني وهو يتحدث عن النحل : "وبالغ بعضهم فزعم أنها^(١) مكلفة، وفيها وكذا غيرها من الحيوانات أنبياء لهم شرائع خاصة، واستدل عليه بما استدل، والمشهور إكفار من زعم ذلك وقد نص على إكفاره جميع الفقهاء".^(٢)

قال الألوسي في تفسير قوله تعالى: [وإن من أمة إلا خلا فيها نذير]^(٣): "واستدل بعض الناس بهذه الآية مع قوله تعالى : وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم على أن في البهائم وسائر الحيوانات أنبياء أو علماء ينذرون، والاستدلال بذلك باطل لا يكاد نفي بطلانه على أحد حتى على البهائم، ولم نسمع القول بنبوة فرد من البهائم ونحوها إلا عن الشيخ محيي الدين ومن تابعه" ^(٤) ثم قال "ورأيت في بعض الكتب أن القول بذلك كفر والعياذ بالله تعالى"^(٥).

الفصل الثاني : الفرق بين المعجزة والكرامة والسحر وفيه مبحثان:

المبحث الأول : الفرق بين المعجزة والكرامة .

^١ أي: النحل .

^٢ الألوسي : روح المعاني ج ١٩ ، صفحة ١٧٤ .

^٣ سورة فاطر الآية ٢٤ .

^٤ الألوسي : روح المعاني ج ٢٢ ، ص ١٨٨ .

^٥ الألوسي : روح المعاني ج ٢٢ ، ص ١٨٨ .